المرأة عند السخاوي في كتابه " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " " دراسة في الحياة الاجتماعية "

د. بلقيس عيدان لويس
كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

الخلاصة

في بحث سابق تناولنا موضوع المرأة عند السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) في كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع "دراسة في المنهج "[١] ، وفي هذا البحث سنتناول حياة المرأة الاجتماعية في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م) من خلال نفس الكتاب، لاسيما إن السخاوي خصص في كتابه- المشار إليه أعلاه - جزءا كاملا للنساء أسماه (معجم النساء) أورد فيه عددا كبيرا من تراجم النساء منهن زوجات وبنات وشقيقات وجواري سلاطين المماليك والخلفاء العباسين في مصر ، وقد استطعت من خلال التراجم المذكورة إن استشف الكثير عن جوانب حياة المرأة الاجتماعية فتناولت الدراسة مكانة المرأة ودورها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ، كما بينت الى مدى ما وصل إليه سلطانها ونفوذها آنذاك.

The women at Al-Sakhaawi Book "A;-Dhau Al-Lami", Study in the social life

Balqees Edain Lawies
College of Education for Women – History Dept.

Abstract

In our previous research , we study the method of women by (al – sakhaawi " died 902 ah/1496a.c"book witch called (al- dhau, al-lami) .
So in this paper , we will discuss the social life of women in the mamluk period through the same book ,especially when the sakhaawi devoted a full part for women in the same book called it (mhagam ,al –nessa)wich it translations a large number of women like wives ,daughters ,sisters ,and maids of mamluk sultans ,so that make my able to know a lot about the social life of woman which we study it like a social aspects of women, here wealth, business, professions ,and in the last we study the habits of them marriage .

المقدمة :

يعد موضوع المرأة في المصادر التاريخية خلال العصور الإسلامية من الموضوعات الصعبة عموما ، وذلك نظرا لان التقاليد العربية الإسلامية المحافظة حالت دون الكشف عن كثير من جوانب حياتها لاسيما ما يتعلق بالجوانب العائلية والمنزلية والاجتماعية . لذا نجد السخاوي كبقية المؤرخين أورد نصوصا متفرقة تناولت حياة المرأة استطعنا عن طريق جمعها أن نبين الى أي حد أسهمت المرأة بدور بارز في مختلف نواحي الحياة في الدولة المملوكية ويظهر هذا الدور أوضح ما يكون خلال عصر سلاطين المماليك الشراكسة [٢] أي في الفترة الممتدة بين السنوات (٧٨٤ – ٩٢٣هـ / ٣٨٢ – ١٥١٧م) ، حيث تمتعت المرأة خلال العصر المذكور بمكانة مرموقة سواء أكان ذلك داخل الطبقة الحاكمة من المماليك ، أم عند سائر طبقات المجتمع العربي الإسلامي ، وتتضح تلك الجوانب الاجتماعية في المجالات الآتية :

١ـ الالقاب الاجتماعية

نظر المماليك الى نسائهم نظرة احترام وتقدير وتجلى ذلك في الألقاب العديدة التي خصصت لهن وذكرها السخاوي في أسمائهن إثناء عرضه لسيرتهن كدليل على هيبة وجلال المرأة ، هذا وقد وقفنا على (١٦٠) إشارة لألقاب نساء ، تنوعت، منها "٥١ " مرة [٣] بلفظة خوند [٤] و"٢٣"مرة [٥] بلفظة خاتون [٦] و"١٤" بلفظة الشريفة [٧] و" ١٠ " بلفظ ست القضاة [٨] ومثلها ست الأهل [٩] و" ٧" بلفظة ست العرب[١٠] ومثلها ست الكل[١١]وست قريش[١٢] و " ٥" بلفظة ست الوزراء [١٣] و" ٣" بلفظة ست الخلفاء[١٤]ومثلها ست الخطباء [١٥] وست الجميع[١٦]و"مرتان" بلفظة ست البنين[١٧] ومثلها ست الملوك [١٨]وست العيش[١٩] وست التجار[٢٠] وست من يراها [٢١] و" مرة واحدة " ست الشام[٢٢] ومثلها ست الشرف[٢٣] وقرة العين[٢٤]وست العراق[٢٥] وست العمائم[٢٦] وست العيدين[٢٧]).

٢- الثروات والاموال :

امدنا السخاوي بنصوص مهمة وغنية أوضح فيها مقدار ثروات نساء السلاطين المماليك وبعض نساء العامة سواء أكان ذلك ضمن منهجه في تراجم الرجال او ضمن منهجه في تراجم النساء. إما عن دوافعه في الاهتمام بهذا الجانب فلعله وجد فيه ما يشير الى ازدياد نفوذ المرأة خلال العصر المملوكي مع زيادة ثرواتهن وبالتالي تنفيذ رغباتهن ، وهذا الأمر يعكس صورة من صور الفخر بأصحابها ، أو لعله أراد بذلك إيجاد نوع من المقارنة بين ما كان تمتلكه بعض النساء من ثروات جاءت نتيجة التصرف الصحيح في الحياة وبين ما وصلت اليه بعضهن من الشدة نظرا لعدم قدرتها على ضبط أمور حياتها وفي هذا المجال وجد السخاوي فرصة لمنح قارئ كتابه سير يتعظ بها قارئ كتابه في الحياة .

والمطلع على تلك الثروات يجد انها كانت متعددة ولم تتخذ شكلا موحدا – وهو امر طبيعي – فقد تنوعت ما بين ورق[٢٨] وأراضي ومجوهرات وملابس وأثاث وجواري وموارد أخرى ، وقد كان منهج السخاوي في عرضها متخذا شكل الاشارة الى مقدار الثروات بعد وفاة المرأة المترجم لها ، هذا وقد أشار السخاوي الى كثرة ثروات النساء في " ٣٤ " ترجمة [٢٩]. تنوعت طرق الإشارة اليها من حيث تفصيل موجودها ، فتارة يدون السخاوي قيم الثروة مفصلة نوعا ما نحو قوله : " ماتت ... وخلفت من الأمتعة والأقمشة والملابس والنقد شيئا كثيرا جدا يقال يقرب من ستين الف دينار "[٣٠] ، او قوله :" يقال انها خلفت من الحلي والحلل مالا يوصف كثره بل ومبلغ خمسين إلف دينار " [٣١] او :" لها أَمْلَاك ورزق وأوقاف وثروة زَائِدَة "[٣٢]، أو قوله في ترجمة (أم هَانِئ) ابْنة الْعَلامَة نور الدّين أبي الْحسن عَليّ الأتي : " اشترت القاعة الشهيرة على بركَة الْفِيل وتعرف بإنشاء الأكرم وهي غاية فِي الاتساع وَكَثْرَة المغازل وفيهَا مَا يدل على أَنَّهَا كَانَت فِي غَايَة التزخرف"[٣٣] .

في حين نراه تارة أخرى يدونها بشكل يبين كثرة الثروة دون تحديد نوعها وكميتها نحو قوله :" ماتت ... وخلفت شيئا كثيرا " [٣٤] ، أو :" لها ثروة وَملك من إنشائها "[٣٥] أو :"خلفت تَرِكَة متسعة "[٣٦] او : "احتيط على موجودها وَهُوَ شَيْء كثير "[٣٧] او: " كَانَت كَثِيرَة ...الثروة واليسار والقرى للضيفان وإكرامهم "[٣٨]، أو:" لها ثروة زَائِدَة وجهات مَوْقُوفَة عَلَيْهَا"[٣٩] ، أو:" تزايدت ثروتها إِلَى حد لَا يحصر وأنشأت الدّور الْكَثِيرَة "[٤٠] .

٣- خروج النساء من البيت :

تمتعت النساء بنوع من الحرية خلال العصر المملوكي ، وهذا أمر نال اهتمام السخاوي حيث أورد نصوصا عدة اشار فيها الى السماح لهن بالخروج ، حيث اعتادت بعض نساء سلاطين المماليك ان تخرج الى الحج وعند ذاك يخرج حريم السلطان بعظمة كبيرة ومن ذلك ما ورد في ترجمة (زَيْنَب) ابْنة الْعَلَاء على بن الْعَالم الْبَدْر مُحَمَّد الْحَنَفِيّ ونصه : " حجت فِي أَيَّام عزها فَكَانَ أمرا زَائِدا على الْحَد وعوفيت من مرض مرّة فطلعت من بَيتهَا ببولاق[٤١] الى القلعة فِي محفة[٤٢] وكل من وَلَدهَا وصهريها الداودار الْكَبِيروَالثَّانِي[٤٣] والزمام[٤٤] والخازندار[٤٥]بحواشيهم وَغَيرهم أَمَام محفتها وآخَرُونَ من الخدام والخدم والمماليك بجوانبها وَخَلفهَا الى غير ذَلِك من الخوندات وَنسَاء الْأُمَرَاء والمشاعل والشموع والفوانيس وَالأمر فِي عظمتها فَوق هَذَا كُله "[٤٦] ، وقوله في ترجمة ازبك بن طخطخ : " بَالغ فِي إكرام خوند لما قدمت مَعَ الركب الموسمي وَهُوَ بِمَكَّة بِالْمَشْيِ بَين يَدي محفتها "[٤٧] ، وقوله في ترجمة (جلبان) ابْنة يشبك ططر الجاركسية الأشرفية برسباى الأتي : " وحجت ... وَفِي خدمتها ...الزِّمَام و... نَاظر الْجَيْش وَغَيرهمَا فِي عَظمَة زَائِدَة مفرطة"[٤٨] ،وقوله عن زوجات عبد اللَّطِيف بن عبد الْغَنِيّ بن شَاكر الاتي : " حججن بخصوصهن ...فِي أبهة زَائِدَة " [٤٩] ،وقوله في ترجمة (ابْنة سُلَيْمَان) ابْنة دلغادر وَهِي خوند زوج الظَّاهِر جقمق ثمَّ الْمُؤَيد أَحْمد بن الْأَشْرَف اينال قبل سلطنته " حجت مَعَ زَوجهَا فِي ذَاك التغالي والتفاخر"[٥٠] ، ويبدو أن خروج النساء ولاسيما لغرض الحج كان يقتضي تواجد رجل محرم بصحبتها [٥١]، ومن ذلك ما أشار اليه السخاوي في ترجمة (فَاطِمَة) ابْنة أبي الْخَيْر ونصه : " طلعت لمَكَّة بحراً فَتَزَوجهَا بِهِ بعض من كَانَ مَعهَا ...كَأَنَّهَا لقصد المخالصة وَعدم إمكان التَّحَرُّز "[٥٢] .

كما خرجت النساء في المأتم وهي ظاهرة تختص بدفن شخص ذا مكانة ومال وسلطة ، ومن ذلك ما ورد في ترجمة عبد الْعَزِيز بن برقوق بن أنس الْملك ونصه : "دفنا بتربة أَبِيهِمَا بعد أَن صلى عَلَيْهِمَا تَحت القلعة ومعهما من النِّسَاء والجواري المسبيات مَا الله بِهِ عليم بِحَيْثُ عد من الْأَيَّام المهولة جداً " [٥٣]

ورغم ما ورد أعلاه فيبدو أن المجتمع المملوكي كان يكره كثرة خروج النساء الحرائر الى الطرقات العامة ربما خوفا عليهن من مخاطر الطرقات ، ولذا نرى ان المحتسب كان يشدد عليهن ، نحو قول السخاوي في ترجمة منكلى بغا الْعَلَاء الصَّالِحِي الظَّاهِرِيّ برقوق : " وَولي حسبَة الْقَاهِرَة فِي أَيَّام الْمُؤَيد وشدد على النِّسَاء " [٥٤] .

اما بالنسبة لدخول الرجال على النساء ومخالطتهن فكان ذلك يقتضي الضرورة ويرفضه الدين والمجتمع ، ولا يصح إلا من ألم أو مرض ومن ذلك ما ورد في ترجمة رئيس الأطباء (ابْن بدير) مُحَمَّد بن حسن بن مُحَمَّد ونصه : " كَانَ فائق الْجمال عطر الرَّائِحَة زَائِد التأنق فِي ملبسه بِحَيْثُ تحدث الخدام فِيمَا بَينهم بالإنكار على النَّاصِر فِي تَمْكِينه من الدُّخُول على حريمه لطبهن "[٥٥] ، وقوله في ترجمة عبيد الله بن عوض بن مُحَمَّد الْجلَال : " كَانَ وَالِده بارعا فِي الطِّبّ فاستدعاه الْفَقِيه الْجمال يُوسُف الأردبيلي لطب ابْنَته فَقدم عَلَيْهِ فَوجدَ مَرضهَا خطرا يحْتَاج لمشارفتها فِي كل لَحْظَة فالتمس من أَبِيهَا التَّزَوُّج بهَا ليتَمَكَّن من مخالطتها فتوقف فرغبته أمهَا فِيهِ فَأجَاب فَتَزَوجهَا وعالجها "[٥٦] .

٤- نفوذ المراة :

وصلت بعض نساء المماليك او أخواتهم او جواريهم الى مرتبة كبيرة لدى السلاطين مكنتهن من التدخل في شؤون الدولة المملوكية ، وقد أوضح السخاوي ذلك كما اشار الى دور بعضهن في تعزيز موقف الرجل او زيادة مكانته السياسية او الاجتماعية حسب موقعها في المجتمع ، نحو ما ورد لديه في ترجمة (جلبان) ابْنة يشبك ططر ودورها في تعيين اقاربها من الرجال بمناصب حكومية مهمة بقوله : " اشْتَرَاهَا واستو لدها يُوسُف الَّذِي عمل السلطنة بعده ولقب الْعَزِيز ثمَّ تزَوجهَا ...وصَارَت خوند الْكُبْرَى وحظيت عِنْده ونالتها السَّعَادَة وطالت أَيَّامهَا وعظمت حرمتهَا وَبعث السُّلْطَان يطْلب إخوتها وَأمّهَا وأقاربها ... فجيء بهم بعد مُدَّة وهم جمع يزِيدُونَ على الْعشْرَة وأنعم عَلَيْهِم بالاقطاعات والرواتب والوظائف "[٥٧] وقوله في ترجمة أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عمر : " استقر بِهِ الظَّاهِر جقمق بعناية خوند البارزية دوادارا للعزيز " [٥٨] . وقوله في ترجمة جَوْهَر القنقباي : " أضيفت إِلَيْهِ بعد الاشرف وَظِيفَة الزِّمَام ... بسفارة خوند البارزية فانها كَانَت تعرفه " [٥٩] ، وقوله في ترجمة جَوْهَر المعيني الحبشي : " فَلَمَّا آل الْأَمر إِلَى الْأَشْرَف قايتباي وَصَارَت ابْنة الْعَلَاء زَوجته هِيَ خوند كَانَ هَذَا من جملَة خدامها وَعمل ساقيا وَذكر بديانة ومحبة فِي الْعلمَاء وَلزِمَ من ذَلِك مساعدته لبني شَيْخه الْكَمَال فِي أَخذ وظيفتي مشيخة [٦٠] الحَدِيث "[٦١] ، وقوله في ترجمة سودون المحمدي : " أنعم عَلَيْهِ بامرة عشرَة[٦٢]بسفارة خوند البارزية لكَونه زوج أُخْتهَا لأَبِيهَا "[٦٣] ، وقوله في ترجمة (سَلامَة) ابْنة عبد الْعَزِيز بن عبد السَّلَام الزمزمي الْمَكِّيّ : " عَادَتْ الى الْقَاهِرَة ساعية لأخويها فِي مُبَاشرَة السِّقَايَة العباسية[٦٤] فَكتب باشتراكهم مَعَ بني اسمعيل الزمزمي ." [٦٥]

وفي نفس الوقت الذي يشير فيه السخاوي الى دور نفوذ المرأة تجاه الرجل ومحاولتها الجادة لرفع مكانته الاجتماعية والاقتصادية نجده يشير أيضا الى دورها في انحطاط مكانة الرجل أحيان أخرى، ذلك ان غضب المرأة على الرجل كان ينعكس عليه وعلى عمله كما أشار السخاوي في ترجمة بردبك التاجي الأشرفي برسباي الأبرص ونصه : " ولي بِمَكَّة فِي أَيَّام الظَّاهِر جقمق نظر الْحرم وشاد الْعِمَارَة[٦٦] ثمَّ انْفَصل وَعَاد بعد أَن فسخت عَلَيْهِ زَوجته سعادات ابْنة السرباي وَجَرت قلاقل وحوادث وَلَا زَالَ فِي تقهقر وقهر حَتَّى مَاتَ "[٦٧] ، وقوله في ترجمة (أَبُو بكر) بن مُحَمَّد بن حسن الزين الأبشيهي : " اتّفقت كائنته مَعَ زَوجته ابْنة الْجمال بن هِشَام لصقت بِهِ لأجل غرضها كَلَاما قبيحا تنكره الْقُلُوب السليمة فَأمر الظَّاهِر جقمق بنفيه " [٦٨] .

٥- إعمال ومهن المرأة :

تتملك المرأة طاقات كبيرة للعمل خارج المنزل فمسؤوليات المرأة منذ القدم عظيمة حيث كانت تساعد الرجل في الحقل ثم يعودان الى المنزل فيرتاح الرجل وتتولى المرأة مسؤولية البيت والأطفال إلي جانب مسؤولية الاهتمام به شخصياً [٦٩]، وعمل المرأة خارج المنزل ينمى قدراتها البدنية والفكرية ويساعدها في تنشئة الأطفال فى حال تغيب رب الأسرة ، كما ان العمل يساهم في تحسين المستوى المعيشي للمراة وعائلتها، ويكسبها خبرة سواء في مجال العمل او في التعامل مع الآخرين ، فضلاً عن إحساسها بالاستقلالية والثقة فى نفسها الأمر الذي يجعلها قادرة على مواجهة الشر او العدوان عليها.

هذا وقد أشار السخاوي ضمن تراجم كتابه الى مجموعة من الاعمال والمهن التي كانت المرأة تزاولها آنذاك ، ورغم ان ما ورد عنها كان قليلا واتسم بالاختصار الواضح هذا فضلا عن ان معظم إشارته لم تتعرض لتاريخ بداية عمل المرأة او نهايته و الاستعفاء منه او حتى تقدير المدة المنقضية فيه والتعليل لمزاولته الا انه اقتصر على الاشارة الى طبيعة الحياة العملية للمرأة والتي سادت خلال العصر المملوكي ، ولعل سبب ذلك يرجع الى قلة معلومات المصادر المنقول عنها أو الى طبيعة الإعمال نفسها إذ كانت في معظمها إعمال أنية وليدة ظروف معينة اضطرت المرأة الى مزاولتها.

هذا ويمكن أن نقسم تلك الأعمال والوظائف المشار اليها الى أعمال ومهن اجتماعية سنتناولها في هذه الفقرة وإعمال ومهن علمية سيتم تناولها ضمن بحثنا القادم إنشاء الله تعالى .

فإما عن الأعمال والمهن السياسية التي زاولتها المرأة وأشار اليها السخاوي فكانت الإشارة الوحيدة الواردة لديه تتمثل بعمل إحدى النساء كسلطانة وحاكمة كما ورد لديه في ترجمة (تندو) ابنَة حُسَيْن بن أويس ونصه : " وأقيمت فِي السلطنة فَحَاصَرَهُمْ مُحَمَّد شاه بن قرا يُوسُف سنة فَخرجت فِي الدولة حَتَّى صَارَت إِلَى وَاسِط ثمَّ ملكت تستر وَأَقَامُوا مَعهَا مَحْمُود بن شاه ولد فدبرت عَلَيْهِ أَيْضا حَتَّى قتل لِأَنَّهُ كَانَ ابْن غَيرهَا واستقلت بالمملكة مُدَّة ... وجدبت الْعَرَب بِالْبَصْرَةِ وَصَارَ فِي مملكتها الجزيرة و واسط يدعى لَهَا على منابرها وتضرب السِّكَّة باسمها إِلَى أَن مَاتَت "[٧٠].

اما عن الأعمال والمهن الاجتماعية فقد اشار الى عمل العديد من النساء بدور الخاطبة التي تلعب دورا مهما في اغلب مشاريع الزواج على عصر سلاطين المماليك [٧١]. هذا فضلا عن إشارته الى معرفة المرأة فن ضرب الرمل[٧٢] وقراءة الطالع على الرغم من إنكار المجتمع الإسلامي لذلك ، نحو ما ورد لديه في ترجمة إِسْمَاعِيل بن يحيى بن أَحْمد ونصه : " قطع يَد امْرَأَة ... تضرب بالرمل " [٧٣]، وقوله في ترجمة (سَوَّل) : " بلوت.. مَعْرِفَة بفنون مِنْهَا ... ضرب الرمل "[٧٤] كما أشار الى عملها كقابلة ويقصد بهن اللاتي يحضرن قبل الوقت المنتظر للولادة الى منزل السيدة المحتاجة الى مساعدة نحو ما ورد في ترجمة (خَدِيجَة) ابْنة مُحَمَّد بن عبد الله ونصه : " وَهِي رئيسة لَهَا كجدتها خلْطَة ببيوت الأمراء وخدمة بِالْولادَة "[٧٥] ، وقوله في ترجمة في ترجمة (فَائِدَة) : " كَانَت مَعَ ذَلِك قَابِلَة لِنسَاء أهل مَكَّة كأمها " [٧٦].

كما عرفت المرأة الخياطة والتطريز من ذلك ما ورد في ترجمة (فَاطِمَة) ابْنة مُحَمَّد بن أبي بكر ونصه : " أتقنت التطريز والتنبيت[٧٧] وَمَا أشبه ذَلِك وَعَكَفَ عَلَيْهَا بَنَات جِيرَانهَا للتعليم " [٧٨] وقوله في ترجمة (فَاطِمَة) ابْنة الزينى عبد الرَّحِيم : " اتقانها فِيمَا تخيطه وتنبته "[٧٩] . أو نراها تمتهن الاكحال [٨٠] والعمل فيه ابتغاء مرضاة الله نحو قوله في ترجمة (أم الْأَمان) ابْنة عبد السَّلَام بن مُوسَى : " وَكَانَت مِمَّن يتعانى عمل الأكحال لِلْأجرِ بِحَيْثُ تقصد فِيهَا "[٨١] ، او نراها تعمل

ماشطة [٨٢] نحو قوله في ترجمة (ابْنة العريس) : " ماشطة ... لَهَا دور وأملاك "[٨٣] . او تعمل بالغناء وفي ذلك إساءة لمكانتها ومكانة أهل بيتها كما أشار اليه السخاوي في ترجمة عبد الرَّحِيم بن أَحْمد بن مُوسَى ونصه : " كَانَ يتَصَرَّف بِأَبْوَاب الْقُضَاة غير صَالح للأخذ عَنهُ لكَونه زوج الْمُغنيَة ابْنة السطحي وحالهما مَشْهُور" [٨٤] ، وقوله في ترجمة (خَدِيجَة) ابْنة نحيلة " رئيسة المغاني... كَانَت مَعَ اتصافها بحرفتها فِيهَا خير وبر"[٨٥] وقوله في ترجمة (خَدِيجَة) الرحابية " الْمُغنيَة... رَأَتْ حظوة وتغالى كثير من الْفُسَّاق وَنَحْوهم فِي شَأْنهَا كَانَت بارعة فِي فن الْغناء والإنشاد "[٨٦] ، ولقد اشتهرت النساء من الأرامل بعملهن في النسيج [٨٧]، كما وجدت أيضا بعض النساء ممن عملن كبغايا [٨٨] واللاتي أطلق عليهن السخاوي اسم " بنات الخطأ " نحو قوله : " الربوع الَّتِي يسكنهَا بَنَات الخطا "[٨٩] .

ويضاف الى كل ما سبق فقد كان للمرأة الحق في امتلاك الأوقاف والتصرف بها نحو ما ورد في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد الناصري الدلجي ونصه : " لَزِمَ خدمَة خوند زَيْنَب الخاصكية فِي أوقافها وجهاتها "[٩٠] ، وقوله في ترجمة (ألف) ابنة القاضي علم الدّين صَالح بن عمر بن رسْلَان البلقيني : " أَقْبَلت حِينَئِذٍ على الْخَيْر وقررت فِي مدرسة جدها عِنْد قَبره وأبيها قراء فِي كل يَوْم وَقَامَت بِأَمْر الْمدرسَة وبتفقد الأمراء والأرامل وتزايد ذَلِك بعد موت وَلَدهَا الْمشَار اليه حَتَّى صَارَت فريدة فِي أقربائها وأمثالها ورتبت قراء يقرءون عِنْدهَا الحَدِيث وَالتَّفْسِير وَتردد اليها " [٩١]، وقوله في ترجمة (هَاجر) ابْنة الْجمال عبد الْوَاحِد الويشى ـ نِسْبَة لويش الْحجر – " كَانَت خيرة مباركة سليمَة الْفطْرَة راغبة فِي الْخَيْر مقبلة على الأرامل قانعة باليسير"[٩٢] وقوله في ترجمة (زَيْنَب) ابْنة الْكَمَال مُحَمَّد بن النَّاصِر الأتي : " كَانَت محبة فِي الْأَيْتَام والأرامل "[٩٣] ، وقوله في ترجمة (أم الْقسم) " كَانَ بَيتهَا مجمعا للنسوة المنقطعات والأرامل متقنة فِي تَعْلِيم الْبَنَات "[٩٤].

هذا ولم يقتصر أمر العناية بالنساء الأرامل والوحيدات على النساء فحسب بل تعدى ذلك الى الرجال الذين كان لهم دور واضح خلال هذه الفترة بإيوائهن والعناية بهن ومن ذلك ما ورد في ترجمة احْمد بن إِبْرَاهِيم بن نصر الله ونصه : " كَانَ بَيته يجمع طَائِفَة من الأرامل ونحوهن "[٩٥] ، وقوله في ترجمة عمر بن خلف بن حسن بن عَليّ : " تجرد مَعَ شدَّة رغبته فِي إيصَال الْبر لكثير من الأرامل والمنقطعات وحرصه على صلَة الرَّحِم بالزيارة والتفقد " [٩٦] ، وقوله في ترجمة مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن عَليّ : " وَالْقِيَام مَعَ الْأَيْتَام والأرامل وأرباب الْبيُوت والشفاعة المقبولة وتأييد أهل السّنة وقمع المبتدعين ومحبة الْفُقَرَاء وَالصَّالِحِينَ وزيارتهم "[٩٧]

٦- الزواج :

امتاز نظام المجتمع في العصر المملوكي في معظم أدواره بكونه نظاما أبويا قائم على نظام الأسرة ، ولكن بينما كان هذا المجتمع يطلب من المرأة ان تصون نفسها عما يشينها وتحافظ على نفسها وعفتها . نراه متسامحا مع الرجل الذي كان باستطاعته ان يتصل بالإماء اللواتي يمتلكهن ، وعلى الرغم من كثرة الإماء والسراري ، شجع المجتمع المملوكي الزواج المبكر ولقد راعى الرجل في اختيار الزوجة نقاط عدة منها المستوى الاجتماعي والمادي وسن المرأة ، ففي المجال المادي أوضح السخاوي الى ان كثرة أموال المرأة كان دافعا لكثرة طالبي يدها رغبة منهم بالانتفاع ، نحو قوله في ترجمة ابْنة سَيِّدي: " وَكَانَت زوجا لجقمق الْحَاجِب وَلها ثروة زَائِدَة وجهات مَوْقُوفَة عَلَيْهَا بِحَيْثُ رغب غير وَاحِد فِي الِاتِّصَال بهَا " [٩٨]، وقوله في ترجمة أَحْمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد : " تزوج الضريرة ... طَمَعا فِي مَالهَا ... إِلَى أَن مَاتَت مَعَه وَبعده انْكَشَفَ حَاله جدا وطيف لَهُ على مثلهَا أَو نَحْوهَا ليستتر بهَا فَمَا تهَيَّأ " [٩٩] ، اما عن السن فيبدو أن العادات الاجتماعية التي سادت آنذاك – والتي مازالت مستمرة الى ألان ـ كانت تفضل أن تكون المرأة اصغر سنا من الرجل ولعل ذلك يرتبط بقدرتها على الإنجاب وإعالة عائلتها إذا اقتضت الضرورة ، وقد أشار السخاوي الى أهمية صغر سن المراة عند التزويج والتعجب بمن يتزوج بمن هي أسن منه في ترجمة فَاطِمَة ابْنة الْبُرْهَان إبراهيم بن عَليّ بقوله : " تزَوجهَا ابْن عَمها .. وَهِي أسن مِنْهُ الْيَسِير " [١٠٠]، وقوله في ترجمة أَحْمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد : " تزوج الضريرة ... مَعَ تقدمها فِي السن طَمَعا "[١٠١] .

ويتلو اختيار المرأة المناسبة التوجه لخطبتها وقد أشار السخاوي الى أن والد الفتى أو أخيه الأكبر أن فقد الأب أو العم هو الذي ينوب عنه في طلب يد الزوجة ولعل ذلك يرجع الى ان تقاليد المجتمع الدينية كالحجاب والفصل بين الرجل والمرأة حالت دون رؤية العروس الا بعد زفافها ، ويتضح ذلك عن طريق تكرار السخاوي لعبارة " زوجه وَالِده " [١٠٢] ضمن تراجم الرجال أو إشارته الى من ينوب عن الوالد في الخطبة بقوله :"رغب عَمه .. فِي تَزْوِيجه "[١٠٣] ، ولابد ان نشير هنا الى اهمية دور الخاطبة والنساء في اتمام مهمة الخطوبة[١٠٤] .

هذا ويظهر من نصوص السخاوي أن موافقة والد الفتاة وحده لم يكن كافيا لإتمام الزواج بل كان يفضل موافقة والدتها أيضا ، نحو قوله في ترجمة عبد الْقَادِر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد : " زوجه الْجمال أَبُو السُّعُود ابْنَته مراغما فِي ذَلِك لكثيرين واستو لدها إِلَى أَن مقتته أمهَا وطردته وَصَارَ بعد ذَلِك الْعِزّ فِي هوان وَعدم التَّوْفِيق مزيل للنعم "[١٠٥] .

أما الفتاة فعلى الرغم من الحرية التي تمتعت بها المرأة المملوكية والمكانة المتألقة التي حازتها في إطار المجتمع، فإن حرية زواجها لم تكن بيدها. ودون أن نعمم هذا الحكم، فإن النصوص القليلة الواردة لدى السخاوي في هذا الشأن تثبت ذلك، ومن ذلك ما ورد لديه في ترجمة زَيْنَب ابْنة الْقَاضِي الشهَاب أَحْمد بن أبي بكر بقوله : " زَوجهَا أَبوهَا لِابْنِ أَخِيه "[١٠٦] .

اما عن طبيعة الزواج فكان عبارة عن عقد رضائي يتم بين ولي امر الفتاة وولي امر الخطيب خاصة عندما يكون الأخير صغير السن وكان هذا الاتفاق الذي يتم في الغالب امام الشهود مما يعطي للعلاقات الاجتماعية الأسرية طابعا رسميا وقانونيا ومن الواضح ان الزواج هو إعلان عن إقرار للارتباط بين رجل وامرأة شرط ان يتحملا معا مسؤولية هذا الارتباط وما يترتب عليهما من واجبات تبعا للأنظمة والقوانين وكان الزواج خطوة لازمة حتمية في تكوين الأسرة ، ولإتمام الزواج كان على الخاطب ان يتبع جملة من الخطوات منها تعرفه بالفتاة بعد الخطبة وذلك بعد ان يتم الاتفاق بين

وليها وخطيبها بأنها مخطوبة له ، ثم عقد القران و كانت تلحق به مراسيم وطقوس معينة منها طلب موافقة والد الفتاة للمباشرة في العقد نحو قول السخاوي في ترجمة (فَاطِمَة) انبة نور الدّين عَليّ بن أَحْمد : "كَانَ أَبوهَا ...سليم الْفطْرَة بِحَيْثُ أَنه يَوْم عقد على ابْنَته طلب ليأذن فِيهِ ..."(١٠٧) ، فضلا عن تلاوة بعض آيات القران الكريم وحضور الشهود والذين كانت مقاماتهم الاجتماعية تتحدد على وفق مرتبة الزوجين ويتضح ذلك بقول السخاوي في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمد ونصه : " وَلما زوج ابْنَته لِابْنِ سَلام اخْتَار لشهود العقد الشمسين البوصيري وناهيك بِهِ علما وصلاحا والزراتيتي شيخ الْقُرَّاء"(١٠٨) ، وقوله في ترجمة حَفْصَة ابْنة النجمي يحيى بن الْبَهَاء : " وَعقد لَهَا وصيها الأتابك ازبك على ابْن أَخِيه أَو عَمه بِحَضْرَة السُّلْطَان بعد صَلَاة الْجُمُعَة فِي جَامع القلعة "(١٠٩) .

ويرتبط بعقد القران أيضا دفع المهر أو الصداق الذي لا يتم زواج بدونه وكان يتوقف على مقدار غنى المتقدم ومن ذلك قول السخاوي في ترجمة مُحَمَّد بن عبد الْوَهَّاب بن مُحَمَّد بن أَحْمد : " ... وتكلف على المهر ومقدماته وتوابعه مَا يفوق الْوَصْف " (١١٠)، وقوله في ترجمة إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد : " إعطائه فِي جهاز ابْنة لَهُ فِيمَا قيل ألف دِينَار من السُّلْطَان وَمن الدوادار مثلهَا بل زَائِد " (١١١). وقوله عن مؤخر الصداق والذي على ما يبدو كان يدفع على شكل أقساط مؤجلة ما ورد في ترجمة القَاضِي شمس الدّين أَبُو عبد الله الْمَقْدِسِي ونصه : " ويحكى أَن امْرَأَة رفعت لَهُ قصَّة فِيهَا أَن السُّلْطَان تزَوجهَا قَدِيما وَلها عَلَيْهِ حق ... " (١١٢)، كما أشار السخاوي الى عادة كتابة خطبة الصداق وتكون أما طويلة أو قصيرة حسب مكانة صاحب العقد ودليل ذلك ما ورد في ترجمة مُحَمَّد بن أبي بكر بن عَليّ ونصه : " وَعمل صدَاق الْمُحب ابْن الْأَشْقَر على ابْنَته رَابِعَة أرجوزة أثبتها " (١١٣).

وبعد ان يتم كل ما سبق، يجري اعداد جهاز الزوجة ونقله الى منزل الزوج ويتناسب الجهاز مع مركز أصحاب الزوجة ومدى ثرائهم فضلا عن دور الإباء في المساهمة بتقديم العون المادي لأبنائهم ومن ذلك ما أورده السخاوي في ترجمة عبد الله بن أَحْمد بن أبي الْحسن عَليّ بقوله : " أَن بعض بني عمر أُمَرَاء الصَّعِيد تزوج بأخته بعد مُرَاجعَة ومحاورة ومرا غمة فَمَا تنَاول لَهُم شَيْئا وَلَا اخْتَلَط مَعَهم فِي شَيْء حَتَّى أَنه أفرد مَا جرت الْعَادة بإرساله عِنْد الْخطْبَة إِلَى وَقت الدُّخُول فَأرْسل بِهِ إِلَيْهِم "(١١٤). وقوله في ترجمة حسن بن عَليّ بن أَحْمد : "يحكى أَن وَالِده احْتَاجَ فِي تجهيز ابْنة لَهُ يُقَال اسْمهَا صرغتمش وَسَأَلَ الجمالي الاستادار فِي مساعدته فَكتب لَهُ بِمِائَة ألف " (١١٥)، ويرتبط مع عادة نقل الجهاز احتفال يتم في بيت الزوجة ومن ذلك ما ورد في ترجمة زَيْنَب ابْنة القَاضِي الْكَمَال أبي الْفضل مُحَمَّد بقول السخاوي : " واحتفلت أمهَا بجهازها جدا "(١١٦)، كما يبدو ان هيبة الجهاز ارتبط بمدى ثراء العروس نحو ماورد في ترجمة ابْنة الْمُؤَيد أَحْمد بن الْأَشْرَف اينال ونصه:" كَانَت جدَّتهَا قد جهزتها جهازا هائلا لكَونهَا أشرفت على التَّزْوِيج " (١١٧).

وهنا لابد من الإشارة الى ان المدة الزمنية المحددة بين الخطوبة والزواج خلال العصر المملوكي لم تكن واضحة ولكنها عموما لم تكن طويلة ودليل ذلك ما أورده السخاوي في ترجمة إبراهيم بن أَحْمد بن حسن بقوله : " صاهر التقى القلقشندي على ابْنَته وَلكنه قبل الْبناء بهَا قدم الْقَاهِرَة ساعيا فِي مشيخة ... فَلم ينْتج لَهُ أَمر وَلزِمَ من ذَلِك إِقَامَته فِيهَا فتضررت الزَّوْجَة وَأَهْلهَا لذَلِك وَأَرْسلُوا فِي تخييره بَين الطَّلَاق أَو الْمَجِيء للدخول وساعدهم الْأَمِير أزبك الظَّاهِرِيّ حَتَّى علق طَلَاقهَا على مضى مُدَّة إِن لم يتَوَجَّه إِلَيْهِم قبل انتهائها وَتوجه وَدخل بهَا"(١١٨) .

وبعد نقل الجهاز كانت العادة الجارية عند معظم المتزوجين ان تنقل الزوجة الى بيت حميها عند زواجها وتعيش هناك مع زوجها وأطفالها وهناك بعض الحالات القليلة التي ينتقل فيها الزوج الى بيت حميه ويعقد مثل هذا النوع من الاتفاق عندما لا يكون لوالد الفتاة وريث غير ابنته أو أن والدها كثير الغنى فيبقى عندهم الزوج للانتفاع من صحبته فطبيعة الحال يفضل ان تبقى ابنته وأطفاله في بيته نحو قول السخاوي في ترجمة عمر بن مُوسَى بن الْحسن السراج : " وصاهر الْجلَال على جنَّة ابْنة أَخِيه الْبَدْر وَأقَام عِنْدهم "(١١٩) ، وقوله عن زواج أَحْمد بن عَليّ بن عمر بن قنان الاتي: " ...استو لدها وَسكن عِنْدهم بالشمسية "(١٢٠) .

أما عن ليلة الزفاف فكان من الطقوس المتبعة آنذاك أقامة وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء نحو ما ورد في ترجمة لَطِيفَة ابْنة الْبَدْر مُحَمَّد ونصه : " وَعَاشَتْ حَتَّى تزَوجهَا يُوسُف ... وحضرنا مَعَه فِي الْوَلِيمَة " (١٢١) ، وبعد الوليمة يجهز العروسان ليدخلان الخلوة وهناك قد يقرأ الزوج آيات قرآنية للتبرك ، نحو ما جاء في ترجمة جنَّة ابْنة التَّاج مُحَمَّد بن الْجلَال ونصه : " تزَوج بهَا الولوي السفطي ... وَقَرَأَ فِي الْمِحْرَاب لَيْلَة دُخُوله بهَا (تِلْكَ الْجنَّة الَّتِي نورث من عبادنَا من كَانَ تقيا) (١٢٢) فِي آخَرين "(١٢٣) .

ولابد ان نشير هنا الى وجود عادة غريبة كانت موجودة في المجتمع المملوكي في العلاقة الزوجية وهي أن الرجل يدفع مبلغ من المال للزوجة لقاء قيامها بواجبها وهو أمر ينكره الدين والشرع و ولعل سببها هو كثرة بخل الرجال مما دفع المرأة للاحتيال على الرجل للحصول على المال ولقد أشار السخاوي الى هذه الظاهرة بقوله عن زوجة مُحَمَّد بن أَحْمد وشرطها عليه للبقاء معه بالاتي : " أَن يكون لَهَا فِي كل يَوْم دِينَار " (١٢٤)، بل ان بعضا من النساء سلكن مأخذ بعيدة بالاحتيال على الرجل للحصول على المال ، من ذلك امتناع الزوجة عن السفر مع زوجها حتى يدفع لها مبلغا من المال نحو ما ورد في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ونصه :" صاهر الولوي الأسيوطي على أُخْته وَكَانَت جميلَة ورام السّفر بهَا لمَكَّة فِي الْبَحْر فامتنعت فاسترضاها فِيمَا قيل بِكِتَابَة مسطور بِأَلف دِينَار "(١٢٥)

كما اشار السخاوي الى حرص افراد طبقة المماليك على مصاهرة بعضهم بعضا حتى كان كثير منهم تربطه صلات متينة ، نحو قوله في ترجمة زَيْنَب ابْنة جرباش الكريمي " وَتَزَوجهَا الظَّاهِر جقمق"(١٢٦) وقوله في ترجمة شقراء ابْنة النَّاصِر فرج بن برقوق " زَوجهَا أَبوهَا لمملوكة جرباش "(١٢٧) وقوله في ترجمة أزبك من ططخ الأشرفي ثمَّ الظَّاهِرِيّ

جقمق الاتي : " أَعْتقهُ أستاذه ورقاه ... ثمَّ زوجه ابْنَته من مطلقته خوند مغلي ابْنة النَّاصِر بن الْبَارِزِيّ وَعمل لَهَا مهما حافلا جدا "[١٢٨] .

والحديث عن الزواج عند السخاوي على عصر المماليك يدفعنا الى الإشارة عن ظاهرة تعدد الزوجات فإن هذه السلوكيات تعكس مدى إمكان تطبيق مثل هذه القرارات على المرأة دون الرجل، وتعويض امرأة بأخرى. وعلى العموم وعلى الرغم بان الإسلام لم ينشي هذا النظام ولم يوجبه ولم يستحسنه فان هذه الظاهرة بدت بارزة شأن بقية العصور ودليل ذلك ما أورده السخاوي من عبارات وردت ضمن تراجم الرجال تدل على ما سبق نحو قوله : " كَانَ يكثر التَّزَوُّج " [١٢٩].وقوله : " تغالى فِي التَّزْوِيج " [١٣٠].وقوله : " وَتزَوج كثيرا وَكَاد بعض الْقُضَاة أَن يعززه " [١٣١]. وقوله : " تزَوج بعدة زَوْجَات " [١٣٢] وقوله في ترجمة (أَبُو الْحسن) بن الغمري " وَتزَوج بابنة أخي يس البلبيسي ثمَّ بابنة الشَّيْخ عَليّ بن الْجمال ثمَّ بابنة الْبَدْر بن الشهَاب الْبُلْقِينِيّ وبآخرين كجارية من سراري ابْن علييه وَجمع بَينهَا وَبَين الثَّانِيَة ... " [١٣٣] .

وفي الحقيقة ومن خلال استقراء النصوص الواردة في الضوء اللامع نجد ان المرأة قد رأت في ظاهرة تعدد الزوجات أمر طبيعي بل انه انسحب على كثرة رغبتها هي الأخرى بالزواج ، فقد أورد السخاوي إشارات عدة بينت كثرة تزويج المرأة بعد أن تطلق أو يتوفى زوجها ، ولعل دافع ذلك يرجع الى كونها كانت وما تزال بحاجة الى الحماية هذا من جانب ، ومن جانب اخر فاننا نعرف ان المرأة المطلقة والأرملة ينظر إليها في المجتمع نظرة خاصة ملؤها الخيانة والشك والريبة لانها لم تستطع التعايش مع زوجها وانفصلت عنه حتى ولو كان الذنب صادر من زوجها ، بل اننا لا نزال نرى هذه النظرة الى الان في مجتمعنا العربي الحديث لذلك لا عجب ان تستحسن المجتمعات آنذاك تزويج المرأة أكثر من مرة ، ومع ذلك فهناك الكثير من نساء العصر المملوكي ممن رفضن الزواج بعد طلاقهن او وفاة أزواجهن نحو ما ورد عند السخاوي من عبارات ضمن تراجمه دلت على ذلك منها قوله :" فتأيمت [١٣٤] بعده "[١٣٥]. وقوله :" فَلم تتَزَوَّج بعده "[١٣٦] ، وقوله :" قَعَدت ... عزباء "[١٣٧] ، الى غير ذلك من الإشارات التي وردت ومفادها بقاء المرأة خلف زوجها وحيدة [١٣٨] ، هذا من جانب ومن الجانب الاخر فإننا نجد قلة من ورد ذكره في تراجم الرجال لا يتزوج بعد وفاة زوجته من ذلك ما أشار اليه السخاوي في ترجمة (عمائم) ابْنة زوج الشَّمْس الامشاطي الْحَنَفِيّ ونصه : " مَاتَت وتأسف زَوجهَا عَلَيْهَا وَظهر حزنه وكآبته وَكَانَ قد حفظ صحبتهَا وَقدم عشرتها بحث رام مِنْهُ غير وَاحِد التَّزَوُّج فَامْتنعَ مِنْهُ بل وَمن التسري وغبطها النِّسَاء بِهَذَا "[١٣٩] هذا وقد تكررت مثل هذه الحالات عند السخاوي في " ١٦" ترجمة [١٤٠].

والواقع ان ظاهرة تعدد الزوجات في العصر المملوكي ساعد على انتشار ميادين السحر فأخذت كل واحدة تكيد للأخرى من ذلك قول السخاوي في ترجمة عِيسَى بن أَحْمد بن عِيسَى : "كَانَ مقْصُودا من النِّسَاء بِكِتَابَة مَا يروج بِهِ بَينهُنَّ " [١٤١]، وقوله في ترجمة (شيرين) الرومية ام النَّاصِر فرج بن قوله" لم تلبث الا يَسِيرا وتعللت ولزمت الْفراش وَكَثُرت القالة بِسَبَبِهِ واتهم جمَاعَة بسحرها وَظن ابْنهَا أَن ذَلِك من بعض الخوندات زَوْجَات أَبِيه حسدا ... واتهمت جَارِيَة بسحرها فَضربت حَتَّى اتهمت نَصْرَانِيّا كَاتبا فعُوقِبَ فَلم يقر فحبس حَتَّى مَاتَ هُوَ وَالْجَارِيَة " [١٤٢].

أن كل ما سبق من ظاهرة تعدد الزوجات كان يمثل الحرائر من النساء ولكن بالإضافة للنساء الحرائر فقد اشار السخاوي الى كثرة انتشار الجواري والإماء واتصال الرجال بهن في العصر المملوكي ويدل على ذلك ما ورد في ترجمة خَلِيل بن إِبْرَاهِيم العنتابي الْخياط بقوله :" وَلم يكن لَهُ سوى زَوْجَة بل الظَّن أَنه لم يتَزَوَّج غَيرهَا وَأما السراري فمائة "[١٤٣] ، وقوله في ترجمة مُحَمَّد بن عبد الْعَزِيز بن أَحْمد " كَانَ مغرما بالجواري ... " [١٤٤] . ولأهمية دور الإماء في هذا المجتمع واختلاف حقوقهن وحقوق أطفالهن عن حقوق بقية النساء الأحرار فضلنا ان نبين ما أورد عنهن السخاوي من أشارات ، فقد اعتبرت الآمة سلعة تجارية يمكن بيعها وشرائها ومقايضتها وإهدائها وحتى وراثتها نحو ما ورد في ترجمة أَحْمد بن أويس بقوله : " قدم حلب وَمَعَهُ أَرْبَعمِائَة فَارس من أَصْحَابه جافلا من تمرلنك حِين استيلائه على بَغْدَاد لائذا بِالظَّاهِر برقوق فَأرْسل أَمر بإكرامه ثمَّ استقدمه الْقَاهِرَة وَبَالغ فِي إكرامه بِحَيْثُ تَلقاهُ وَأرْسل لَهُ نَحْو عشرَة آلَاف دِينَار ومائتي قِطْعَة قماش عدة خُيُول وَعشْرين جَارِيَة وَمثلهَا مماليك "[١٤٥] ، ولم يكن للأمة خلال العصر المملوكي هوية شخصية تعرف بها بل كان يشار اليها باسمها الأول نحو قول السخاوي في ترجمة شعْبَان بن مُحَمَّد بن دَاوُد زين الدّين الْموصِلِي الأتي : " وَتزَوج جَارِيَة من جواري الْأَشْرَاف يُقَال لَهَا خود "[١٤٦] ، وقوله في ترجمة فرج بن مُحَمَّد الزين : " هوى جَارِيَة لَهُ اسْمهَا بنفشا " [١٤٧]، وقد يتزوج البعض بسراريه وتصبح انذاك من زوجاته نحو ما ورد في ترجمة (شكرباى) الجركسية الناصرية الاحمدية زَوْجَة الظَاهر ونصه: " كَانَت من سراري النَّاصِر فرج ومحرريه " [١٤٨] ، ويبدو ان مكانة الإماء والجواري ظلت تختلف عن الحرة بل وحتى ان طرق معاقبتهن كانت أقسى بدليل ما ورد في ترجمة (أم الْهدى) ابْنة عَليّ بن أبي البركات مُحَمَّد ونصه :" وجدت مقتولة فِي فراشها ... وَظهر أَن قتلتها جواريها باعترافهن فطيف بِهن الْبَلَد مسمرات ثمَّ شنقن "[١٤٩] .

أما عن الأبناء فقد اشار السخاوي الى احتفال الأهل بمولدهم عن طريق عمل وليمة للاحتفال بقدومهم نحو ما ورد في ترجمة عَليّ بن عبد الله بن مُحَمَّد ونصه :" عمل وَلِيمَة مَوْلُود ولد لَهُ " [١٥٠] ، كما كان يعمل احتفال أخر عند ختان الأولاد نحو ما ورد في ترجمة مُحَمَّد بن أبي بكر بن مُحَمَّد ونصه :" كَانَ لختانه وَلِيمَة هائلة "[١٥١] ، ويبدو ان البنات حظين هن ايضا باهتمام الأهل أسوة بالصبيان وقد ذكر السخاوي نماذج عدة تبين مقدار حب الأهل للبنت ومن ذلك قوله في ترجمة مُوسَى بن عَليّ بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الأتي : " كَانَت لَهُ ابْنة اسْمهَا مَارِيَة من عَائِشَة ابْنة الشّرف مُوسَى اللَّقَّانِيّ عمياء بذل شَيْئا كثيرا جدا فِي زَوَال عماها بِحَيْثُ طلب مِنْهُ شخص ألف دِينَار وسمح لَهُ بهَا وَمَعَ ذَلِك فَمَا أَبْصرت " [١٥٢]، كما كانت المرأة من المكانة بحيث يقصدها الرجال للمشاورة واخذ الرأي نحو ما ورد في ترجمة (فَاطِمَة) ابْنة شاهين ونصه :

"وَكَانَت لَهَا حشمة بِحَيْثُ كَانَ الشريف بَرَكَات بن حسن يقصدها للْحَدِيث مَعهَا"[١٥٣] وقوله عند ترجمته لنشوان ابنة الجمال" حجت ... مَعَ خوند البارزية وَكَانَ لَهَا مزيد اخْتِصَاص بهَا وَلها عِنْدهَا بل وَعند غَيرهَا من الرؤساء وجاهة لما اشْتَمَلت عَلَيْهِ من الدّين والتدبير وَالْعقل وعلو الهمة وَالْكَرم والمحاسن الجمة مَعَ الأَصْل بِحَيْثُ أَن قريبها قَاضِي الْحَنَابِلَة الْعِزّ الْكِنَانِي لم يكن يقوم لمن يدْخل عَلَيْهِ بَيته من النِّسَاء غَيرهَا "[١٥٤] ، بل ان بعضهن وصلت الى مكانة دينة عليا جعلت الناس يتبركون بها من ذلك ما ورد في ترجمة (فَاطِمَة) وكانت امْرَأَة " مُقِيمَة بِالْجَبَلِ المقطم وتكنى أم يحيى للنَّاس فِيهَا اعْتِقَاد "[١٥٥] ، ولعل خير دليل نورده هنا عن مكانة البنت عند ذويها ما ورد عن (فَاطِمَة) ابْنة السَّيِّد بَرَكَات والتي كانَت لجلالتها عِنْد أَخِيهَا السَّيِّد مُحَمَّد ينتسب اليها فِي الحروب وَيَقُول : " أَنا أَخُو فَاطِمَة "[١٥٦] .

أما عن تربية الأبناء وتنشئتهم فكانت في غالب الأحيان تقع على كاهل الام التي تعتني بصغارها وتسهر على راحتهم ودليل ذلك كثرة تكرار السخاوي لعبارة : " نَشَأَ فِي كنف أمه " [١٥٧] ، او : "مَات أَبوهُ وَهُوَ صَغِير فكفلته أمه " [١٥٨] ، و: " خلف ابْنة نشأت فِي كَفَالَة أمهَا "[١٥٩] ، ولعل سبب تحمل الأم لمسؤولية تربية الأبناء يرجع لانشغال الأب في توفير لقمة العيش لعائلته نحو ما ورد في ترجمة خطاب بن عمر ونصه : " وتنزل فِي كثير من الْجِهَات، وَكَانَ كثير الْعِيَال ذَا زَوْجَات ثَلَاثَة وَأَبَوَاهُ وَعَمَّته وَغَيرهم فِي كَفَالَته " [١٦٠]، ولكن هذا لا ينفي طبعاً مساهمة الأب او من ينوب عنه في تربية الأولاد والاعتناء بتعليمهم وفي ذلك أشارات عدة منها قوله السخاوي : " كَانَ قد تولى تَرْبِيَته زوج أمه... وأحضر لَهُ من علمه "[١٦١] . وقوله في ترجمة عبد الرَّحْمَن بن عبد : " ولد بعد موت أَبِيه بِيَسِير ... فحفظ الْقُرْآن عِنْد زوج أمه الشَّمْس الْمقري وَهُوَ الَّذِي رباه وجوده " [١٦٢] ، وقوله في ترجمة أبو بكر بن عبد الْغَنِيّ بن عبد الْوَاحِد بن إِبْرَاهِيم : " وَنَشَأَ هَذَا فِي كَفَالَة زوج أمه " [١٦٣]. وكثيرا ما أورد السخاوي العبارات الدالة على احترام الأبناء للام نحو قوله في ترجمة أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد ما نصه: " مَاتَت أمه فرغب عَن وظائفه و... عَن النَّاس وَأَقْبل على الْعِبَادَة وَكثر بكاؤه وندمه "[١٦٤] .

ورغم محبة الرجل المملوكي لزوجته عموما ، ألا انه قد يعامل زوجته بوحشية وقسوة أحيانا أخرى، وقد يتبع أساليب عدة لإذلال المرأة من ذلك تقليله أو امتناعه عن دفع مصروف البيت نحو ما ورد في ترجمة أَحْمد بن رَجَب بن طيبغا المجدي ونصه : " وَعِنْده بعض مسك الْيَد مَعَ الْقُدْرَة على الدُّنْيَا " [١٦٥] .أو نراه ينقطع عن زوجته ويتركها في بلد ما وهو في بلد اخر نحو قوله في ترجمة (بديعة) زابْنة السَّيِّد نور الدّين أَحْمد بن الصفى :َ" تَزَوَّجت بِابْن عَمَّتهَا ... وَهِي غير منصفة من زَوجهَا بل فِي طول الْمدَّة الَّتِي عرفناها فِيهَا هُوَ غَائِب عَنْهَا إِلَّا فِي النَّادِر " [١٦٦] ، أو انه يجازي احتمال زوجته لظروفه الصعبة ووقوفها الى جانبه بان يتزوج عليها ومن ذلك ما ورد في ترجمة إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ونصه : " كَانَ المحيوي بن تَقِيّ قد زوجه ابْنَته فَأَقَامَ مَعهَا فِي ظله وصهره مديم التلطف بِهِ ثمَّ لم يلبث أَبوهُ أَن مَاتَ فاستقر فِي المشيخة ...وَحج وَلم يرع لصهره سَابق أفضاله مَعَ مزِيد احْتِمَاله وقاهر ابْنَته بالتزوج عَلَيْهَا وهجرها وَغير ذَلِك " [١٦٧] ، او نراه قد يتلف مال زوجته الذي ورثته عن إبائها لحل مشاكل اوقع نفسه بها نحو قوله في ترجمة مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد : " أتلف مَا لزوجته ابْنة الشَّمْس بن الشماع " [١٦٨] .

ومن خلال استقراء النصوص نجد ان مقدار ثروة الرجال كان دافعا كبيرا ومهما لدى بعضهم لمعاملة المرأة بطريقة لا تليق بها على الرغم من صبرها معه في المحن والشدائد ومن ذلك ما ورد في ترجمة عَليّ بن مُحَمَّد بن خَالِد نور الدّين البطراوي ونصه : " زوجه الْبَدْر ... ابْنَته وما حصلت مِنْهُ بعد طول الصُّحْبَة على طائل وَلَا رَاعى حق والدها وتربيته لَهُ) [١٦٩] ، وقد تدفعخ ثروته احيانا الى لزواج بأكثر من واحدة نحو قول السخاوي في ترجمة حْمد بن إِسْمَاعِيل بن عُثْمَان الأتي : " انهالت عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَتزَوج مرّة بعد أُخْرَى لمزيد رغبته فِي النِّسَاء مَعَ كَونه مطلاقا وَظهر لما ترفع حَاله مَا كَانَ كامنا لَدَيْهِ من اعْتِقَاد نَفسه الَّذِي جر إِلَيْهِ الطيش والخفة " [١٧٠] ، وقوله في ترجمة أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الأتي : " تزوج عدَّة زَوْجَات وَاحِدَة بعد أُخْرَى سوى مَا مَعَه من السراري وَأكْثر من تحمل الدُّيُون فِي الْإِنْفَاق وَنَحْوه " [١٧١] ، وقوله في ترجمة أَحْمد بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن حسن " تحمل ديونا مَعَ كَثْرَة تزَوجه وَمَا وسمه بِهِ إِلَّا الْفِرَار لبلاده "[١٧٢] ، وقوله في ترجمة بركوت شهَاب الدّين عَتيق سعيد الأتي " تنقلت بِهِ الْأَحْوَال ... وصاهر إِلَى بَيت الْمحلى التَّاجِر فنكح ابْنَته آمِنَة واستولدها، وَكَانَ كثير التَّزْوِيج وَالْأَوْلَاد بِحَيْثُ مَاتَ لَهُ فِي حَيَاته أَكثر من خمسين ولدا "[١٧٣] .

وكما كان للزواج عند السخاوي أسس وخطوات تتبع كان للطلاق في العصر المملوكي مسببات عدة منها ، عدم وئام بين الطرفين نحو قوله في ترجمة زين العابدين بن أبي بكر بن عبد الرَّحْمَن الأتي : " تزَوج فَلم يحصل التئام وَفَارق عَن قرب مَعَ اشتمالها على حمل انْفَصل " [١٧٤]، او نظرا لقطع الرجل للنفقة عن المرأة مع سوء المعاملة نحو ما ورد في ترجمة عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر الْمصْرِيّ قوله " تزَوج سبطة الْخَالَة ابْنة النُّور الكريدي وسافرت هِيَ وَأمّهَا مَعَه فَلم يحصل لَهَا رَاحَة وَتوجه لسواكن وَتلك النواحي ودامت مُدَّة بِغَيْر نَفَقَة وَلَا منفق إِلَى أَن ملت ففسخت عَلَيْهِ وَلَيْسَ بمحمود الْمُعَامَلَة " [١٧٥] ، او نراه يحدث نظرا لغياب الحوار الزوجي بين الطرفين نحو قوله في ترجمة (سَعَادَة) أم الْهدى ابْنة الْجمال أبي السُّعُود : " زوجهَا أَبوهَا ... ثمَّ أَقبلت ... بالبغضاء والنفرة بِحَيْثُ طردته "[١٧٦] ، او يكون السبب مكر واحتيال أحدى الجواري مما يدفع الرجل الى تطليق زوجته نحو ما ورد في ترجمة مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَى الشَّمْس ونصه :" تزَوج جَارِيَة من جواري النَّاصِر يُقَال لَهَا سمراء فهام بهَا وأتلف عَلَيْهَا مَاله وروحه بل ألزمته بِطَلَاق زَوجته ابْنة عَمه فَطلقهَا لأجلهَا " [١٧٧]. وقد يحدث الطلاق لكثرة الهجران بين الطرفين وبعدهما عن بعضهما البعض نحو قوله في ترجمة يحيى بن أَحْمد بن عبد الْعَلِيم: " زَوجته سعادات ابْنة البوشي الَّتِي هاجرها حَتَّى زهدت فِيهِ وَفِي وَلَدهَا مِنْهُ "[١٧٨] ، او لعله يحدث لإتيان المراة فاحشة او عمل مشين نحو قوله في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خَلِيل : " حكي لي حِكَايَة شنيعة من جِهَة زَوجته وَكَانَ مغرما بحبها بِحَيْثُ أدّى الْحَال إِلَى فرقها " [١٧٩] ، او لعل السبب يكون عدم

الاتفاق على مجريات الحياة الزوجية مما يولد كثرة المشاكل نحو قوله في ترجمة مُحَمَّد بن بردبك :" فَارق زَوجته ابْنة ... بعد مخاصمة ومناكدة وَكَانَت رغبتها فِي فِرَاقه أَكثر " (١٨٠) ، وقد يكون من أسبابه غيرة الزوجة على زوجها نحو ما ورد في ترجمة عبد الرَّحِيم بن إِبْرَاهِيم بن حجاج ونصه: " كَانَ متزوجا بحفيدة للبساطي ودامت مَعَه دهرا وَهِي صابرة زَائِدَة الطواعية لَهُ ثمَّ صَارَت تتخيل وتتوهم اتِّصَاله بغَيْرهَا من غير حَقِيقَة لذَلِك بِحَيْثُ كثر تضرره من إفحاشها فِي الْعشْرَة مَعَه وتكرر طَلَاقه لَهَا " (١٨١). ولابد من الإشارة هنا الى ان التطليق قد يجري على الزوجة الأولى أو الثانية على سواء ، فنرى الرجل قد يطلق الزوجة الثانية خوفا من سخط الزوجة الاولى نحو ما ورد في ترجمة (حَبِيبَة الله) ابْنة الصفي عبد الرَّحْمَن : " تزوج عَلَيْهَا ابْن عَمها ... سرا فَلَمَّا علمت بَادر لفراق الجديدة خوفًا من سخطها وَعَاشَتْ بعده دهراً "(١٨٢)، او قد يكون العكس فيطلق الزوج الزوجة الأولى لكثرة ميله للزوجة الثانية نحو قوله في ترجمة (أم الْحُسَيْن) ابْنة عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن أسعد اليافعي :" تَزَوجهَا الْمُحب بن الْجمال بن ظهيره فَمَال إِلَيْهَا وطلق كمالية ابْنة عبد الرَّحْمَن الفاسي لأَجلهَا"(١٨٣).

وقد ينحى الرجال في الحصول على الطلاق مناحي سيئة مع زوجاتهم من ذلك إجبارهم الزوجة بكثرة افتعالهم المشاكل معها على طلب الطلاق مقابل فدائها نفسها وحريتها بمبلغ مالي نحو قوله في ترجمة سعد الدّين إِبْرَاهِيم : " كَانَ أحد كتاب المماليك وَمَعَهُ عدَّة مباشرات وزوجه سعد الدّين إِبْرَاهِيم بن الجيعان ابْنَته ... فناكدها حَتَّى افتديت مِنْهُ بِشَيْء " (١٨٤) ، وقوله في ترجمة (فَاطِمَة) ابْنة الْبَدْر مُحَمَّد بن محمد : " تزوجهَا سبط الْعِزّ الْحَنْبَلِيّ عز ... فَلم يحصل التئام ففارقها بعد بذل لَهُ وإبراء "(١٨٥) ، وقد يطلب الرجل من المرأة لمنحها الطلاق اخذ الابن عنها إضافة للمال نحو ما ورد في ترجمة (سعادات) ابْنة الشَّيْخ نور الدّين على ونصه: " تزَوجهَا البقاعي ... وقاست مَعَه من الْفقر والذل مَالا يعبر عَنهُ ... ونالها مِنْهُ من الذل مَا لم يكن لَهَا فِي حِسَاب بل نَالَ طلبه أَبِيهَا من أجل مساعدتها ما شاء الله وَكَذَا مس أخاها مِنْهُ كل سوء فَلم تحْتَمل وَسَأَلته الطَّلَاق بعد وِلَادَتهَا مِنْهُ وأشهدت عَلَيْهَا أَنَّهَا مَتى رامت نظر الْوَلَد أَو أَخذه كَانَت ملتزمة بِخَمْسِمِائَة دِينَار وسمحت بمفارقة وَلَدهَا ومهجتها مَعَ مزِيد حبه لَهَا " (١٨٦) .

هذا وقد تتأذى المرأة من الطلاق فيؤثر ذلك على حالتها النفسية نحو ما ورد في ترجمة (أم الْحُسَيْن) ابْنة عبد الْوَاحِد بن الزين مُحَمَّد بن ونصه : " حصل فِي عقلهَا اختلال يُقَال بِسَبَب تزَوجه عَلَيْهَا وفارقها واستمرت أَيّمَا إِلَى أَن وجدت ميتَة"(١٨٧) .

وبالإضافة الى قهر الرجال لنسائهم ذكر السخاوي معاناة أخرى لهن خلال العصر المملوكي تمثلت بالسلطة الحاكمة ، فأحيانا كان السلطان يعاقب من يقف الى جانب المرأة لإنصافها من الظلم لتحقيق مآرب له أو لأقاربه، من ذلك ماجاء في حادثة تعيين القاضي مُحَمَّد بن أَحْمد بن حسن بن إِسْمَاعِيل والذي عزل بسبب : " كائنة شقراء ابْنة النَّاصِر فرج بن برقوق وانحراف السُّلْطَان عَن الْمُحب بن الشّحْنَة بِسَبَب قيام ابْنه الصَّغِير فِي التعصب مَعهَا ... وصرح بعزل القَاضِي وَأخذ بِيَدِهِ فأقامه من مَجْلِسه ثمَّ ولى صَاحب التَّرْجَمَة إلزاما " (١٨٨) . ولابد من الإشارة هنا الى أن القضاء عامل المرأة أسوة بالرجل في الإحكام والعقوبات – كما ذكرنا سابقا – حتى انها عوقبت أحيانا في القضاء مساواة مع زوجها كتعرضهما للمصادرة سويا نحو ما جاء في ترجمة : الْحسن بن عبد الله الْبَدْر ونصه : " قبض عَلَيْهِ الْمُؤَيد بعد أَن أوسعه سبا وهم بقتْله فشفع فِيهِ عِنْده على مَال كثير بعد عصره وعقوبته وعقوبة أَتْبَاعه حَتَّى عوقبت زَوجت الشَّرِيفَة "(١٨٩) ، وقوله في ترجمة يُوسُف بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن جَعْفَر : " لقد ارتكبوا فِي حَقه مُنْذُ قبض إِلَى أَن قتل مَا لم يرتكبه فِي حق من دونه فِيمَا كَانَ فِيهِ من الإهانة والإفراط فِي ظلم البرآء من أَهله حَتَّى وضعت امْرَأَته سارة ابْنة الْأَمِير بجاس وَهِي حَامِل على دست نَار فَأَسْقطت وَرَأَتْ من الذل مَا لَا يُوصف وَمَاتَتْ بعد ذَلِك قهرا "(١٩٠) ، وقوله في ترجمة (عَلَاء الدّين) بن اللفت : " مَاتَ ... وَلما بلغ الْأَشْرَف مَوته جهز أَحْمد الدوادار للاحْتِيَاط على موجوده الَّذِي كَانَ صحبته بالركب فَحمل إِلَيْهِ بل وَبعث إِلَى مَكَّة فِي طلب زَوجته للفحص عَن سَائِر أَمْوَاله فتجهزت صُحْبَة الركب "(١٩١) ، وقوله في ترجمة (خَدِيجَة) الرحابية الْمُغنيَة : " وصودرت مرّة بعد أُخْرَى "(١٩٢) ، وقوله في ترجمة أم الجمالي نَاظر " وَكَانَت تذكر بِشَيْء كثير بِحَيْثُ صودرت على قدر لَا أحصره "(١٩٣).

ومن الجدير بالملاحظة هنا ان السخاوي لم يكتفي بعرض مظاهر قهر الرجال للنساء بل انه اشار الى بعض مظاهر قهر النساء للرجال وان كانت حالات فردية لها اسبابها الخاصة بين المرء وزوجته ومن ذلك ما ورد في ترجمة مُحَمَّد بن أبي بكر شمس الدّين الصندلي ونصه : " تزوج نَفِيس ... وقاسى مِنْهَا نكدا حَتَّى كَانَ يَقُول يا سيدتي نفيسة خليصيني من نفيسة " (١٩٤) ، وقوله في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَليّ : " رَجَعَ مرغوما لأجل زَوجته أم ولد لَهُ لكَونهَا أكثرت من مناكدته " (١٩٥) ، وقوله في ترجمة يحيى بن مُحَمَّد بن سعيد : " تزَوج ابْنة ابْن الْهمام ... وقاسى مِنْهَا شدَّة فَمَا احتملها وَصَارَ يُصَرح بجنها وَنَحْو ذَلِك فَلم يلبث أَن عرض لَهُ مَا يقرب من الْجُنُون وَزَاد وسواسه وصبه المَاء وَعدم وثوقه بكبير أحد، وتضعضع حَاله جدا بعد الثروة من التِّجَارَة وَغَيرهَا وَبَاعَ أَكثر مَا كَانَ حازه من كتب الْعلم سِيمَا الحَدِيث " (١٩٦) ، وقوله في ترجمة (أَبُو بكر) بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد : " مع مزيد كدره من أم أَوْلَاده "(١٩٧) ، او نراها – أي الزوجة - تؤذي الرجل بكثرة إسرافها وإتلاف ماله ومن ذلك ما جاء في ترجمة (أزدان)رُومية ونصه : " تَزَوجهَا ... أَبُو الْخَيْر الفيومى وأتلف ... بِسَبَبِهَا شَيْئا كثيرا وَكَانَ ابْتِدَاء ضَرَر كَبِير " (١٩٨) ، وقوله في ترجمة (سعادات) ابْنة الْبَدْر مُحَمَّد " تَزَوجهَا الصّلاح المكيني وحصلت قلاقل فتكت مَعَه وأتلفت أَمْوَالًا جزيلة " (١٩٩) ، هذا وقد تمنع المراة زوجها من الإرث ان كانت غنية انتقاما لنفسها ، نحو ما ورد في ترجمة (زَيْنَب) ابْنة الخواجا الْجمال مُحَمَّد الْبَدْر :" كانَ زَوجهَا ... مغاضباً لَهَا فأشهدت بِأَن جَمِيع ما في حوزتها لأَبِيهَا رَجَاء حرمانه "(٢٠٠) .

وقد تسلك الزوجة مناحي أكثر قسوة مما سبق في معاملة زوجها سواء أكان ذلك بإهانته او الأقدام على طرده بصحبة أولادهما او نراها تتجرأ أحيانا الى ابعد من ذلك فتحاول قتله ، نحو ما ورد في ترجمة (سَعَادَة) أم الْهدى ابْنة الْجمال أبي السُّعُود ونصه : " زوجهَا أَبوهَا ... وَولدت لَهُ ابْنة ثمَّ أَقبلت عَلَيْهِ بالبغضاء والنفرة بِحَيْثُ طردته هِيَ وعيالها وتشتت وتفتت وَحمل الأكابر حَتَّى الشريف وَلم توَافق "(٢٠١) ، وقوله في ترجمة مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَى الشَّمْس : " تزَوج جَارِيَة من جواري النَّاصِر .. وأفرطت هِيَ ... فِي بغضه حَتَّى قيل أَنَّهَا سقته السم فتعلل مُدَّة وَلم تزل بِهِ حَتَّى فَارقهَا فتدله عقله من حبها إِلَى أَن مَاتَ " ، وقوله في ترجمة عبد الرَّحْمَن بن عَليّ بن عبد الرَّحْمَن : " يُقَال أَن أم وَلَده دست عَلَيْهِ سما لِأَنَّهَا كَانَت ظنت انفرادها بِهِ بعد موت زَوجته فَمَا اتّفق بل تزوج امْرَأَة أُخْرَى وَأخرج الْأمة فَحصل لَهَا غيرَة "(٢٠٢) .

و لابد من الذكر أن أعمال المرأة الانتقامية التي ذكرها السخاوي لا تعبر عن الوضع الغالب للمرأة فضلا عن ضرورة مراعاة روح العصر ومستواه الفكري والاجتماعي والاقتصادي آنذاك .

٧- تكريم المرأة بعد وفاتها :

ويبدو ان مظاهر التكريم التي تمتعت بها المرأة في عصر سلاطين المماليك لم تقتصر على حياتها فحسب بل كثيرا ما امتد الأمر الى ما بعد وفاتها ، اذ يشير السخاوي الى مظاهر دفن فيها الكثير من التكريم والتقدير للمتوفاة لاسيما ان كانت المتوفاة تنتمي الى الطبقة الحاكمة ، ومن مظاهر الدفن تلك ، تكريم زوجة السلطان المتوفاة عن طريق غسل المتوفاة ثم تكفينها حتى يصلى عليها بمشهد حافل ويستر نعشها بشخاناه (٢٠٣) زركش (٢٠٤)كما في ورد لديه في ترجمة (ابنة ابْن خَاص بك ونصه : " ماتَت ... وحملت فِي محفة لبيت سبطها ... فغسلت وكفنت وَصلى عَلَيْهَا ...فِي مشْهد حافل جدا ... وَستر نعشها بشخاناة زركش على عَادَة الخوندات "(٢٠٥) . وقوله في ترجمة (خَدِيجَة) ابْنة الظَّاهِر جقمق : " مَاتَت قبل استكمال الثَّلَاثِينَ فِي حَيَاة أمهَا ... ودفنت من الْغَد عِنْد أَبِيهَا ...بعد أَن صلى عَلَيْهَا ... بِحَضْرَة السُّلْطَان فِي مشْهد قل أَن يَقع لامْرَأَة مثله مَشى النَّاس فِي جنازتها من دارها ... الى الْمصلى الى التربة "(٢٠٦) ، وقوله في ترجمة (شكرباى) الجركسية الناصرية الاحمدية الأتي : "صلى عَلَيْهَا تَحت طبقَة الزِّمَام وتقدم النَّاس الْخَلِيفَة ودفنت " (٢٠٧) .

ومن الطبيعي للسخاوي وهو يعرض طرق دفن نساء سلاطين المماليك ان يهتم بعرض تلك الطرق عند عامة المجتمع ، ومن ذلك ما ورد لديه في ترجمة المتوفاة (خَدِيجَة) ابْنة مُحَمَّد بن أَحْمد البدرشينى ونصه : " وَصلى عَلَيْهَا عِنْد بَاب الْكَعْبَة ودفنت جوَار قُبُور السَّادة ... وَكَانَت جنازتها حافلة ومشاهد قبرها فِي مُدَّة الاسبوع هائلة "(٢٠٨) ، وقوله في ترجمة (حسناء) ابْنة سيدى على بن مُحَمَّد بن وفا الشاذلي: " مَاتَت ... وَصلى عَلَيْهَا من الْغَد فِي جمع جم " (٢٠٩)

وقد يخصص اهل الميتة قارئ للقراءة على قبرها لراحة المريض والتبرك نحو ما ورد عند السخاوي في ترجمة (زهراء)التركية أم الْمَنْصُور عُثْمَان بن الظَّاهِر جقمق ونصه : " توفيت ... ودفنت بقبة ... ورتب عِنْدهَا قراء ليالى الْجمع وإسماع حَدِيث فِي أَيَّامهَا سوى قِرَاءَة فِي كل يَوْم "(٢١٠) . وقوله في ترجمة محمد بن شعبان البوتيجي: " قرر قَارِئًا عِنْد قبر ابْنَته ورتب لَهُ فِي كل شهر دِينَارا "(٢١١) .

كذلك اعتادت نساء مصر الخروج الى القرافات لإقامة الحزن على المتوفاة لايام – كما سبق وان ذكرنا - ومن ذلك ما ورد في ترجمة (فرج) ابْنة الظَّاهِر خشقدم ونصه : " مَاتَت ... وَصلى عَلَيْهَا تَحت طبقَة الزِّمَام ... وتقدم الْخَلِيفَة النَّاس ودفنت بتربة أَبِيهَا وَأظْهر هُوَ وَأمّهَا وجدا زَائِدا عَلَيْهَا ... وَنزلت أمهَا الى تربتهَا وَأَقَامُوا النوائح أَيَّامًا "(٢١٢) .

وغالبا ما يعنى السخاوي ببيان طريقة الوفاة ان كانت طبيعية او غير ذلك كالقتل ، وما يتبع ذلك من إجراءات الدولة في البحث عن القاتل لتغريمه وإقامة القصاص عليه بالسجن نحو ما أشار اليه في ترجمة مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد الشَّمْس الجيزي ونصه : " امتحن بعد التسعين بِسَبَب ولد لَهُ اتهمَ بقتل امْرَأَة وقاسى شدَّة سِيمَا بالغرامة والكلفة الَّتِي بَاعَ فِيهَا موجوده أَو أَكْثَره "(٢١٣) ، وقوله في ترجمة مُحَمَّد بن عُثْمَان بن ظافر: " تزوج إمرأة فاتهم بقتلها وأودع السجْن لذَلِك ثمَّ أطلق بعد سعي شَدِيد "(٢١٤). وهنا لابد من الذكر ان عقوبة الرجل بسبب إيذاءه للمرأة لم تقتصر عند الوفاة فحسب بل انها كثيرا ما امتدت الى شكواها ضده وتغريمها له في الحياة من ذلك ما أشار اليه السخاوي في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن ونصه : " ورسم عَلَيْهِ ... بِسَبَب شكوى امْرَأَة وتكلف لما بَاعَ شَيْئا من موجوده واستدان بِسَبَبِهِ "(٢١٥) .

الهوامش

(١) ينظر بحث مقبول في مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار تحت عنوان المراة عند السخاوي في كتابه الضوء اللامع دراسة في المنهج .

(٢) سميت بهذا الاسم نسبة الى المماليك الذين جلبوا من بلاد الشركس – تقع بين بحر قزوين والبحر الاسود – الى مصر ثم اصبحوا فيما بعد سلاطين . انظر ، ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ – ١٤٤٨م) ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد علي صبيح ،(القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ٦٩ ؛العريني: السيد باز ، المماليك ، (بيروت ، النهضة المصرية العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٧)، ص ٦٣ ؛ طرخان : ابراهيم علي ، مصر في عصر دولة المماليك الشراكسة ، (القاهرة ،، دار النهضة العربية، ١٩٦٠) ، ص ٨ .

(٣) السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٦٨م) ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، (بيروت ، مكتبة دار الحياة) ، ج ١ ، ص ١٧٢ ، ٣٤٥ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٣ (اشارتان) ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ج٣ ، ص ٢١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٧٥ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٨٦ ، ج ٤

، ص ٨ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٦ ، ج٧ ، ص ١٥٠ ، ج٩ ، ص ٢٥ ، ١٦٧ ، ج١٠ ،ص ٤٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ٣٠٣ ، ج١١ ، ص ١٤٨ ، ج١٢ ، ص ١٧ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ .

[٤]) لفظة خوند تعني خلال العصر المملوكي اميرة . انظر،الكيلاني : ابراهيم ، مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الايوبي والمملوكي والعثماني ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد ٤٩ ، تشرين الاول ، ١٩٩٢ ،ص ١٣ .

[٥]) السخاوي : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ج ٣ : ص ٧٢ ، ١٢٤ ، ج٥ ، ص ١٨ ، ٣٠٨ ، ج٦ : ص ٨٤ ، ٢٦٤ ، ج٧ ، ص ٢٠٧ ، ج٩ ، ١٣١ ، ج١٠ ، ٢٤٩ ، ٢٩٢ ، ج ١١ ، ١٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ج١٢ ، ١١ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١١٩ ، ١٢٣٨ .

[٦]) الخاتون المرأة الشريفة . انظر ، ابراهيم مصطفى واخرون : المعجم الوسيط ،(دار الدعوة ، ١٩٨٠)، ج ١ ، ص ٢١٣ .

[٧]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، ج٢ ، ٢٠٢ ، ج٣ ، ص ١٠٢ ، ج٧ ، ص ٧٤ ، ٢٠٨ ، ٢٧٨ ، ج٨ ، ص ٢١٧ ، ج١١ ، ص ٧ ، ج١٢ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٢٧ ، ١١٦ .

[٨]) م . ن ، ج١ ، ص ١٢٣ ، ج٨ ، ص ٢٩٠ ، ج١١ ، ص ٢٤٣ ، ج١٢ ، ص ٣ ، ٦ ، ٢١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٢٤ ، ١٢٨ .

[٩]) م . ن ، ج ٥ ، ص ٢١٤ ، ج٩ ، ص ١١١ ، ج١١ ، ص ٨١ ، ج١٢ ، ص ١٦ ، ١٩ ، ٥٣ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ . .

[١٠]) م . ن ، ج ٢ ، ص ٣٣١ ، ج ج٥ ، ص ٣٢٠ ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ج ٩ ، ص ١٩٥ ، ج١٢ ، ص ٥٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤.

[١١]) م . ن ، ج٧ ، ص ٤٥ ، ج٩ ، ص ٣٨ ، ج١٢ ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ١٣٩ .

[١٢]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ٥٠ ، ٥٦ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٩ .

[١٣]) م . ن ، ج ١١ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٧٠ ، ج١٢ ، ص ٥٩ ، ٨١

[١٤]) م . ن ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، ج١٢ ، ص ٨ ، ٥٤ .

[١٥]) م . ن ، ج ٩ ، ص ٢٣ ، ج١٢ ، ص ٥٤ ، ١٥٢ .

[١٦]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٣٤ ، ٥٤ ، ٥٥ .

[١٧]) م . ن ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ ، ج٨ ، ص ٢٦٨ .

[١٨]) م . ن ، ج ١١ ، ص ٢٣٧ ، ج١٢ ، ص ٥٨ .

[١٩]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٥٦ ، ٧٨ .

[٢٠]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٦ ، ٥٤ .

[٢١]) م . ن ، ج ٤ ، ص ١١٨ ، ج١٢ ، ص ١٩ .

[٢٢]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٥٥ .

[٢٣]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٥٥ .

[٢٤]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١١٦ .

[٢٥]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٥٥ .

[٢٦]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٥٥ .

[٢٧]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٥٥ .

[٢٨]) الورق : ومعناه المال . انظر، ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، (ايران، قم، نشر ادب الحوزة) ، ج ١٠ ، ص ٣٧٦ .

[٢٩]) السخاوي : ، الضوء اللامع ،ج٢ ، ص ١٥٢ ، ج٣ ، ص٥٧ ، ١٠١ ، ج٤ ، ص ٩٨ ، ٢٥٩ ، ج٥ ، ص ٣٠٣ ، ج ٧ ، ص ٨٠ ، ج٨ ، ص٤٧ ، ٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٤٦ ،ج٩ ، ص ٤٦ ، ج١٠ ، ص ١٢ ، ١٧٨ ، ج١١ ، ص ٧ ، ٤١ ، ج ١٢ ، ص٨ ،١٥ ، ١٧ ،٣٣ ، ٣٧ ،٤٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ،٩٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٣ ،١٥٧ ، ١٦٣ .

[٣٠]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٧ .

[٣١]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٦٦ .

[٣٢]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١١٤ .

[٣٣]) م . ن ، ج ١٢، ص ١٥٧.

[٣٤]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٣٧ ، ٦٨ ، ١١٧ .

[٣٥]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٧٧ .

[٣٦]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٨٩ .

[٣٧]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٩٠.

[٣٨]) م . ن ، ج ١٢ ، ص ٩٢ .

(٣٩) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٦٣ .
(٤٠) م . ن ، ج ١٢، ص ٤٥ .
(٤١) منية بولاق بالاسكندرية . ياقوت الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر، ١٩٩٥) ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .
(٤٢) المحفة : مركب كالهودج الا ان الهودج يقبب والمحفة لا تقبب ، كما ان الخشب يحيط بالقاعد فيها من جميع جوانبه ، وقيل المحفة مركب من مراكب النساء . انظر ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٤٩ ؛ الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق علي شيري ، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٢) ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ .
(٤٣) الدويدار : من اصحاب الوظائف الكبيرة في الدولة العباسية وهي كلمة فارسية مركبة من ديدن وهو الاسراع في الشي ودار بمعنى صاحب ويدل كلام المقريزي في الخطط ان هذه الرتبة كانت في المماليك في مصر الا انه سماه الدوادار ورتبته الدوادارية وهو تحريف بسبب كثرة الاستعمال كما اشار ان من عادة الدولة ان يكون بها من امرائها من يقال له الدوادار وموضوعه تبليغ الرسائل عن السلطان وتقديم القصص الى السلطان والمشاورة مع من يحضر الى بابه وتقديم البريد .انظر، المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، (بيروت ،دار الكتب العلمية ، ١٤٨١هـ) ، ج ٣ ، ص ٣٨٨ .
(٤٤) ويقصد بها وظيفة زمام القصور .انظر، القلقشندي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤٨١م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ج ٣ ، ص ٥٥٦ .
(٤٥) الخازندار : ووظيفته الحفاظ على خزائن الاموال السلطانية من نقد وقماش . انظر،الظاهري : خليل بن شاهين(ت ٩هـ/ ١٥م) ، الاشارات في علم العبارات ، (مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٤٠) ، ج ١ ، ص ١١١ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٥٥٦ .
(٤٦) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢، ص ٤٥ .
(٤٧) م . ن ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .
(٤٨) م . ن ، ج ٢ ، ص ١٧ .
(٤٩) م . ن ، ج٤، ص٢١٧.
(٥٠) م . ن ، ج١٢، ص١٦٣.
(٥١) فلا يجوز للمرأة وفق الشريعة الاسلامية السفر بدون محرم، والمحرم من تحرم عليه على التأبيد بنسب أو سبب مباح، ويشترط أن يكون بالغا عاقلا، وأما الصغير فلا يكون محرما، وغير العاقل لا يكون محرما أيضا، والحكمة من وجود المحرم مع المرأة حفظها وصيانتها، حتى لا تعبث بها أهواء من لا يخافون الله عز وجل ولا يرحمون عباد الله.لمزيد من التفاصيل انظر ، ابن انس : مالك ابو عبد الله (ت ١٧٩ هـ/٧٩٥م) ، الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (مصر، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٥) ، ج ٢ ، ص ٩٧٩ ؛ الشافعي : محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م) ، كتاب الام ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٣) ، ج٥ ، ص ٢٤٤ ؛ البخاري : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) صحيح البخاري ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨١) ، ص ٢٣٥ .
(٥٢) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص٩١.
(٥٣) م . ن ، ج٤، ص٩١.
(٥٤) م . ن ، ج١٠، ص١٧٣.
(٥٥) م . ن ، ج ١١ ، ص ٢٣٦ .
(٥٦) م . ن ، ج ٥ ، ص ١١٧.
(٥٧) م . ن ، ج١٢، ص١٧.
(٥٨) م . ن ، ج٢، ص٨٢.
(٥٩) م . ن ، ج٣، ص٨٢.
(٦٠) المشيخة : بفتح الميم وكسر الشين اسم المكان ومعناها محل ذكر الاشياخ والاسانيد فالمشيخة موضع ذكر . انظر ،ميرادامار : محمد باقر بن محمد ، الرواشح السماوية ، تحقيق غلام حسين ونعمت الله الحلبي ، (قم ،دار الحديث ، ١٤٢٢هـ) ، ص ١٢٥ .
(٦١) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج٣، ص٨٤.
(٦٢) امير عشرة : هو امير تحت امرته عشرة فرسان واحيانا عشرين وهو امير من الطبقة الثالثة منهم من يكون صغار الولاة وارباب الوظائف . انظر القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٦٧ و ج ١٥ ، ص ٩٥ .
(٦٣) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج٣، ص٢٨٥.
(٦٤) سقاية العباس : موضع في السجد الحرام زاده الله شرفا ان يستسقى فيها الماء ليشربه الناس . الشافعي : كتاب الام ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .
(٦٥) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص٦٦.

[٦٦]) شاد العمائر : وهو منصب يشبه منصب المهندسين في الوقت الحالي ويكون صاحبه مسؤول على الاشراف على العمائر السلطانية . انظر، المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٨ .
[٦٧]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج٣، ص٦.
[٦٨]) م . ن ، ج١١، ص٧٦.
[٦٩]) عقراوي : ثلماستيان ، المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، (العراق، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨)، ص ٢٥ .
[٧٠]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص١٦.
[٧١]) م . ن ، ج٣، ص١١٣،ج ٤ ، ص ٢٩٦ ، ج١٢ ، ص ١٢٥ .
[٧٢]) ضرب الرمل : علم يستدل من اشكاله الاثنى عشر على الطالع ، ذلك ان هذا العلم يقول بوجود اثنى عشر برجا . انظر ، طاش كبرى زادة : ابو الخير عصام الدين احمد بن خليل بن مصطفى (ت ٩٨٦هـ/١٥٦٠م) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور ، (القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة الاستقلال ، ١٩٨٦)، ج١ ، ص ٣٦٠ .
[٧٣]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج٢، ص٣٠٨.
[٧٤]) م . ن ، ج١٢، ص٦٧.
[٧٥]) م . ن ، ج١٢، ص٣١.
[٧٦]) م . ن ، ج ١٢، ص ١١٤ .
[٧٧]) تنبيت : درز وغرز الابر .انظر ، دوزي : ج١٠ ، ص ١٥٧ .
[٧٨]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢، ص ١٠٢ .
[٧٩]) م . ن ، ج ١٢، ص ٩٤ .
[٨٠]) الكحالون : وهم المختصون بمعالجة امراض العيون . انظر : ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧١٠هـ/ ١٣٧٧م) ، تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد امين ، (مصر ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٦) ، ج١ ، ص ٣٠٥ ؛ النويري : احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق الباز العريني ، (الهيئة المصرية ، ١٩٩٢م) ، ج ٣١ ، ص ١٠٧ .
[٨١]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢، ص ١٣٤ .
[٨٢]) الماشطة : التي ترجل شعر النساء وتصلح من حالهن . انظر ، الفيروز ابادي : محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) ، القاموس المحيط ، (بيروت ، دار العلم للجميع) ، ج ١ ، ص ٢٥ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١ ، ص ٩٣ .
[٨٣]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢، ص ١٦٣ . والماشطة هي السيدة التي تقوم بتجميل النساء في الحمامات العامة وتعير الفقيرات منهن الثياب والحلي . لمزيد من التفاصيل انظر ، ابن ابي الفضائل (ت ٧٢٦هـ/١٢٢٩م) ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، نشربلوشيه ، (باريس ، ١٩١٢م) ، ج ١ ، ص ٤٦٧ .
[٨٤]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج٤، ص١٦٩.
[٨٥]) م . ن ، ج١٢، ص٣٢.
[٨٦]) م . ن ، ج١٢، ص٣٣.
[٨٧]) م . ن ، ج٩، ص٢٢٧.
[٨٨]) م . ن ، ج٢، ص٧٤. يبدو ان عددهن كثر في الديار المصرية على عصر سلاطين المماليك وكان لهن لباس خاص يعرفن به وهو لبس الملاءت والطرح وفي ارجلهن سرافيل من اديم احمر . لمزيد من التفاصيل انظر ، المقريزي : الخطط والاثار، ج٢ ، ص ٩٦ .
[٨٩]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج٢، ص٧٤ .
[٩٠]) م . ن ، ج١٠، ص٤٠.
[٩١]) م . ن ، ج١٢، ص٨.
[٩٢]) م . ن ، ج١٢، ص١٣١.
[٩٣]) م . ن ، ج١٢، ص٤٩.
[٩٤]) م . ن ، ج١٢، ص١٤٨.
[٩٥]) م . ن ، ج١، ص٢٠٥.
[٩٦]) م . ن ، ج٦، ص٨٤.
[٩٧]) م . ن ، ج٧، ص١٣٧.
[٩٨]) م . ن ، ج١٢، ص١٦٣.
[٩٩]) م . ن ، ج٢، ص١٦٨.
[١٠٠]) م . ن ، ج١٢، ص٨٦.
[١٠١]) م . ن ، ج٢، ص١٦٨.

(١٠٢) م . ن ، ج١، ص٨، ج ٨ ، ص ٩٤ .
(١٠٣) م . ن ، ج١، ص٩٣.
(١٠٤) م . ن ، ج٣، ص١١٣،ج ٤ ، ص ٢٩٦ ، ج١٢ ، ص ١٢٥ .
(١٠٥) م . ن ، ج٤، ص٢٩٦.
(١٠٦) م . ن ، ج١٢، ص٣٩.
(١٠٧) م . ن ، ج١٢، ص٩٦.
(١٠٨) م . ن ، ج٩، ص٣٩.
(١٠٩) م . ن ، ج١٢، ص٢١.
(١١٠) م . ن ، ج٨، ص١٣٦.
(١١١) م . ن ، ج١، ص٦١.
(١١٢) م . ن ، ج٨، ص٨٨.
(١١٣) م . ن ، ج٧، ص١٧٨.
(١١٤) م . ن ، ج٥، ص٥.
(١١٥) م . ن ، ج٣ ، ص١٠٥.
(١١٦) م . ن ، ج١٢، ص٤٦.
(١١٧) م . ن ، ج١٢، ص١٦٢.
(١١٨) م . ن ، ج١، ص١١١.
(١١٩) م . ن ، ج٦، ص١٣٩.
(١٢٠) م . ن ، ج١١، ص٢٠.
(١٢١) م . ن ، ج١١، ص٢٠.
(١٢٢) سورة مريم : الاية ٦٣.
(١٢٣) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص١٧.
(١٢٤) م . ن ، ج٦، ص٣٠٥.
(١٢٥) م . ن ، ج١٠، ص١١.
(١٢٦) م . ن ، ج١٢، ص٤٠.
(١٢٧) م . ن ، ج١٢، ص٦٨.
(١٢٨) م . ن ، ج٢، ص٢٧٠.
(١٢٩) م . ن ، ج١٠، ص٣٩.
(١٣٠) م . ن ، ج١٠، ص١٨٥.
(١٣١) م . ن ، ج٧، ص٥٤.
(١٣٢) م . ن ، ج٧، ص٨٠.
(١٣٣) م . ن ، ج١١، ص١٠٤.
(١٣٤) تأيمت ، امن يعني خلت من الزوج بموت او طلاق ، ويقال امراة ايم وقد تايمت اذا كانت بغير زوج وقيل ذلك ان كان لها زوج فمات عنها وهي تصلح للازواج لان فيها من الشباب . انظر، الطبري : محب الدين احمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، (طهران ،مكتبة القدسي ، عن نسخة دار الكتب المصرية والنسخة التيمورية) ، ص ١٦٥ . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٤٠ .
(١٣٥) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص٢.
(١٣٦) م . ن ، ج١٢، ص٩.
(١٣٧) م . ن ، ج١٢، ص٢٣.
(١٣٨) م . ن ، ج١٢، ص٢ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ (اشارتان) ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٣ (اشارتان) ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٧ (اشارتان) ، ٤٩ (اشارتان) ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣.
(١٣٩) م . ن ، ج ١٢، ص٨٥.
(١٤٠) م . ن ، ج٣ ، ص ٣٨ ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ ، ج ١٢ ، ص ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٤٤، ١٣٤، ١٦٢ .
(١٤١) م . ن ، ج٦، ص١٥٠.
(١٤٢) م . ن ، ج١٢، ص٧٠.
(١٤٣) م . ن ، ج٣، ص١٨٩.
(١٤٤) م . ن ، ج٨، ص٥٨.
(١٤٥) م . ن ، ج١، ص٢٤٥.

(١٤٦) م . ن ، ج١٢، ص١٢٢.
(١٤٧) م . ن ، ج٦، ص١٧٠.
(١٤٨) م . ن ، ج١٢، ص٦٨.
(١٤٩) م . ن ، ج١٢، ص١٦٠.
(١٥٠) م . ن ، ج٥، ص٢٥٢.
(١٥١) م . ن ، ج٧، ص١٩٧.
(١٥٢) م . ن ، ج١٠ ، ص ١٨٥ .
(١٥٣) م . ن ، ج١٢ ، ص ٩٢ .
(١٥٤) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١٣٠ .
(١٥٥) م . ن ، ج ١٢ ، ص ١١٤.
(١٥٦) م . ن ، ج١٢ ، ص ٩٠ .
(١٥٧) م . ن ، ج١، ص١٨٣.
(١٥٨) م . ن ، ج١، ص٣٥١.
(١٥٩) م . ن ، ج٢، ص٢٠ ، ج٣ ، ص ٢١ ، ج٤ ، ص ٢٧٨ ، ج٩ ، ص ٣٠ ، ٥٨ ، ١١٧ .
(١٦٠) م . ن ، ج٣، ص١٨١ .
(١٦١) م . ن ، ج١ ، ص ٢٤٧ .
(١٦٢) م . ن ، ج٤، ص ٨٣ .
(١٦٣) م . ن ، ج١١، ص ٨٤ .
(١٦٤) م . ن ، ج٢، ص٨٤ .
(١٦٥) م . ن ، ج١، ص٣٠٢.
(١٦٦) م . ن ، ج١٢، ص١٣.
(١٦٧) م . ن ، ج١، ص١٦٤.
(١٦٨) م . ن ، ج٨ ، ص٢٥٩.
(١٦٩) م . ن ، ج٥، ص٣٠١.
(١٧٠) م . ن ، ج١، ص٢٤١.
(١٧١) م . ن ، ج١، ص٣٣٣.
(١٧٢) م . ن ، ج٢، ص٩٨.
(١٧٣) م . ن ، ج٣، ص١٥.
(١٧٤) م . ن ، ج١١، ص١٧٢.
(١٧٥) م . ن ، ج٤، ص١٣٩.
(١٧٦) م . ن ، ج١٢، ص٦٤.
(١٧٧) م . ن ، ج٨، ص٢٢٣.
(١٧٨) م . ن ، ج١٠، ص٢١٧.
(١٧٩) م . ن ، ج٩، ص٨١.
(١٨٠) م . ن ، ج٧، ص١٤٩.
(١٨١) م . ن ، ج٤، ص١٦٤.
(١٨٢) م . ن ، ج١٢، ص١٩.
(١٨٣) م . ن ، ج١٢، ص١٣٩.
(١٨٤) م . ن ، ج١١، ص٢٧٠.
(١٨٥) م . ن ، ج١٢، ص١٠٤.
(١٨٦) م . ن ، ج١٢، ص٦٢.
(١٨٧) م . ن ، ج١٢، ص١٤١.
(١٨٨) م . ن ، ج٦، ص٣٠١.
(١٨٩) م . ن ، ج٣، ص١٠٢.
(١٩٠) م . ن ، ج١٠، ص٢٩٤.
(١٩١) م . ن ، ج١١، ص١٦٣.
(١٩٢) م . ن ، ج١٢، ص٣٣.
(١٩٣) م . ن ، ج١٢، ص١٣٤.
(١٩٤) م . ن ، ج٧، ص٢٠٣.

[١٩٥]) م . ن ، ج٩، ص١٦٣.
[١٩٦]) م . ن ، ج١٠، ص٢٤٦.
[١٩٧]) م . ن ، ج١١، ص٤٤.
[١٩٨]) م . ن ، ج١٢، ص٦.
[١٩٩]) م . ن ، ج١٢، ص٦٣.
[٢٠٠]) م . ن ، ج١٢، ص٤٧.
[٢٠١]) م . ن ، ج١٢، ص٦٤.
[٢٠٢]) م . ن ، ج٤، ص٨٩ – ٩٩ .
[٢٠٣]) بشخاناه وجمعها بشاخين وهي ما يطلق عليها اليوم الناموسية المزكرشة او داير السرير أي الحلية التي توضع فوق السرير وقد تكون حول الغرفة كلها . انظر عاشور : سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي في مصر والشام ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) ، ص ٤١٨ .
[٢٠٤]) زركش الثوب أي نقشه ووشاه .انظر دوزي : رينهارت ان ، تكملة المعاجم اللغوية ، نقله الى العربية محمد سليم النعيمي وجمال الخياط ، (العراق ، وزارة الشؤون الثقافية والاعلام العراقية ، ١٩٧٩ – ٢٠٠٠) ، ج٥ ، ص ٣١٥ .
[٢٠٥]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢، ص٤٤- ٤٥ . لمزيد من التفاصيل انظر ايضا ، المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، (القاهرة ١٩٣٢ – ١٩٧٢م) ،ج ٢ ، ص ١٦٥ ؛ ابن اياس ابو البركات : محمد بن احمد بن اياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، (، القاهرة، طبعة بول كالة ومصطفى زيادة ، ١٩٦٠) ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .
[٢٠٦]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ١٢، ص ٢٧ .
[٢٠٧]) م . ن ، ج ١٢، ص ٦٨ .
[٢٠٨]) م . ن ، ج ١٢، ص ٣٢ .
[٢٠٩]) م . ن ، ج ١٢، ص ٢٠ .
[٢١٠]) م . ن ، ج ١٢، ص ٣٨ .
[٢١١]) م . ن ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .
[٢١٢]) م . ن ، ج ١٢، ص١٤٤ . لمزيد من التفاصيل انظر ، ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) ، رحلة ابن بطوطة ، (باريس ، ١٩٦٨) ، ج١ ، ص ٧٤ .
[٢١٣]) السخاوي : ، الضوء اللامع ، ج ٧، ص١٠٢ .
[٢١٤]) م . ن ، ج ٨، ص١٤٦ .
[٢١٥]) م . ن ، ج ٩، ص٢٧ .

قائمة المصادر الاولية :

القران الكريم

ابن انس : مالك ابو عبد الله (ت ١٧٩ هـ/٧٩٥م)
١- الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (مصر، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٥) .

ابن اياس ابو البركات : محمد بن احمد بن اياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)
٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، (، القاهرة، طبعة بول كالة ومصطفى زيادة ، ١٩٦٠) .

البخاري : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)
٣- صحيح البخاري ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨١).

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
٤- رحلة ابن بطوطة ، (باريس ، ١٩٦٨)

ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧١٠هـ/ ١٣٧٧م)
٥- تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد امين ، (مصر ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٦) .

ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ – ١٤٤٨م)
٦- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد علي صبيح ،(القاهرة ، ١٩٦٦) .

الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)
٧- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق علي شيري ، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٢).

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٦٨م)
٨- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، (بيروت ، مكتبة دار الحياة)

الشافعي : محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م)
٩- كتاب الام ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٣) .

طاش كبرى زادة : ابو الخير عصام الدين احمد بن خليل بن مصطفى (ت ٩٨٦هـ/١٥٦٠م) ١٠-
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور ، (القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة الاستقلال ، ١٩٨٦) .
الطبري : محب الدين احمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)
١١- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، (طهران ،مكتبة القدسي ، عن نسخة دار الكتب المصرية والنسخة التيمورية) .
الظاهري : خليل بن شاهين(ت ٩هـ/ ١٥م)
١٢- الاشارات في علم العبارات ، (مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٤٠) .
ابن ابي الفضائل (ت ٧٢٦هـ/١٢٢٩م)
١٣ - النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، نشربلوشيه ، (باريس ، ١٩١٢م).
الفيروز ابادي : محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)
١٤- القاموس المحيط ، (بيروت ، دار العلم للجميع)
القلقشندي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤٨١م)
١٥- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية).
المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
١٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، (بيروت ،دار الكتب العلمية ، ١٤٨١هـ) .
١٧ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، (القاهرة ١٩٣٢ – ١٩٧٢م)
ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)
١٨- لسان العرب ، (ايران، قم، نشر ادب الحوزة).
النويري : احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م)
١٩ - نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق الباز العريني ، (الهيئة المصرية ، ١٩٩٢م).
ياقوت الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
٢٠- معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر، ١٩٩٥)

قائمة المراجع الحديثة :

ابراهيم : مصطفى واخرون
٢١- المعجم الوسيط ،(دار الدعوة ، ١٩٨٠)
طرخان : ابراهيم علي
٢٢- مصر في عصر دولة المماليك الشراكسة ، (القاهرة ،، دار النهضة العربية، ١٩٦٠) .
عاشور : سعيد عبد الفتاح
٢٣- العصر المماليكي في مصر والشام ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦).
العريني : السيد باز
٢٥- المماليك ، (بيروت ، النهضة المصرية العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٧ .
عقراوي : ثلماستيان
٢٤- المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، (العراق، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨)
ميراداما : محمد باقر بن محمد
٢٥- الرواشح السماوية ، تحقيق غلام حسين ونعمت الله الحلبي ، (قم ،دار الحديث ، ١٤٢٢هـ)

المجلات :

الكيلاني ، ابراهيم ، مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الايوبي والمملوكي والعثماني ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد ٤٩ ، تشرين الاول ، ١٩٩٢.